دراسات اجتماعية

دورية محكمة تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية- الجزائر

العدد الرابع(04) أفريل 2010/جمادى الأولى 1431ه

ظاهرة الرشوة: من الاشرعية القانونية و الأخلاقية إلى الشرعية الاجتماعية

أ.دروش فاطمة فضيلة

الوضع الديمغرافي في الجزائر و العوامل المتحكمة فيه أثناء الاحتلال الفرنسي

د.جويدة عميرة

موقف الجامعيين من تأثير التعليم الجامعي على التحديث الاجتماعي

أ.جاب اللّه زهية

أثير النشاط البدني و الرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية

د.بوعجناق كمال

أ.زاوي عبد السلام

استهلاك وسائل الإعلان و أثره على الانحراف

أ.مسعودي موالخير

نظرية الثقافة و العولمة،قراءة في مشروع أنطوني كينج

د.لخضر قريشي

إشكالية الوجود الطبيعي في الفكر الفلسفي الإسلامي-ابن حزم الظاهري نموذجا-

أ.سعد عبد السلام

الرقم الدولي ISSN 0478-2170

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات اجتماعية

دورية فصلية محكّمة تصدر عن :

مركز البصيرة

للبحوث والاستشارات
والخدمات التعلمية

ـ العدد الرابع ـ
(04)

رئيس التحرير:

العمرية عز الدين

azdlamria@gmail.com

المراسلات باسم مدير مركز البصيرة
46 تعاونية الرشد القبة القديمة – الجزائر
هـا: 0021321289778
فـا: 0021321283648

البريد الالكتروني:
Markaz_bassira@yahoo.fr

الموقع الالكتروني:
www.albassira.net

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع القانوني :

ردمد :

التوزيع

دار الخلدونية للنشر والتوزيع
05، شارع محمد مسعودي القبة الجزائر.
هـا/فـا : 021.68.86.48
هـا : 021.68.86.49

قواعد النشر

ترحب دورية "**دراسات اجتماعية**"بإسهامات الباحثين في الموضوعات ذات الصلة بالعلوم الاجتماعية التي تراعي القواعد التالية:

1- أن يكون البحث غير منشور في مصادر أخرى.

2- التقيد بالأسلوب العلمي والمعالجة الموضوعية والإحاطة المنهجية.

3- لا يقل حجم المقال عن 15 صفحة ولا يزيد عن 25.

4- أن يكتب المقال ببرنامج " Word " الخط باللغة العربية " Arabic Transparent " حجم الخط 14.

5- أن يكون البحث مرفق بالمراجع مدونة في نهاية البحث.

6- تخضع الأبحاث المقدمة للتقييم من قبل الهيئة العلمية للدورية، ويبلغ أصحابها بالقرار النهائي المتعلق بالقبول أو التعديل.

7- الأبحاث المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

8- يرسل المقال في قرص مرن مرفقا بنسختين مطبوعتين إلى عنوان المركز أو بالبريد الإلكتروني على: موقع البصيرة

www.albassira.net

أو:

azdlamria@gmail.com

albaseerarevue@gmail.com

البريد الإلكتروني:

Markazbassira@yahoo.fr

هيئة التحرير

أ.العمرية عز الدين جامعة الجزائر

أ.جابي عبد الناصر جامعة الجزائر

أ.زبيري حسين جامعة الجلفة

عنوان المراسلات :
رقم 46 تعاونية الرشد
القبة القديمة - الجزائر

ها: 021.28.97.78
فا:021.28.36.48
النقال: 0550.54.83.05

الموقع الإلكتروني:
http/www.albasseera. net

البريد الإلكتروني:
info@albassira.net
Markaz_bassira@yahoo.fr

الهيئة العلمية

أ.مقراني الهاشمي..... جامعة الجزائر

أ.بومخلوف محمد.....جامعة الجزائر

أ.جابي عبد الناصر.....جامعة الجزائر

أ.بوكربوط عز الدين.....جامعة الجلفة

أ.زرواتي عبد الرشيد.....جامعة المسيلة

أ.بوشرف كمال.....جامعة الجزائر

أ. بو عجناق كمال .....المركز الجامعي خميس مليانة

أ.الزهرة شريف .....جامعة الجزائر

أ.عبورة محمد .....جامعة الجزائر

يوسف حنطابلي .....جامعة البليدة

بوقرة كمال .....جامعة باتنة

دراسات اجتماعية

أمة تتعلم، أمة تتقدم

دورية دراسات اجتماعية – العدد 04 – أفريل 2010

محتويا

▪ الافتتاحية.	الهيئة العلمية	5
▪ ظاهرة الرشوة: من اللاشرعية القانونية والأخلاقية إلى الشرعية الاجتماعية.	أ/ دروش فاطمة فضيلة علم الإجتماع. جامعة المسيلة	9
▪ الوضع الديمغرافي في الجزائر و العوامل المتحكمة فيه أثناء الاحتلال الفرنسي.	د/ جويدة عميرة علم الإجتماع. جامعة الجزائر –بوزريعة	25
▪ موقف الجامعيين من تأثير التعليم الجامعي على التحديث الاجتماعي.	أ/ جاب الله زهية علم الاجتماع. جامعة الجزائر –بوزريعة	41
▪ تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.	د/ بوعجناق كمال م،ج خميس مليانة أ/ زاوي عبد السلام جامعة الجزائر	57
استهلاك وسائل الإعلام و أثره على الانحراف.	أ / مسعودي موالخير (علم الإجتماع. جامعة البليدة).	81
▪ نظرية الثقافة والعولمة، قراءة في مشروع أنطوني كينج.	د/ لخضر قريشي المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر.	105
▪ إشكالية الوجود الطبيعي في الفكر الفلسفي الإسلامي - ابن حزم الظّاهري نموذجاً _	أ/ سعد عبد السلام قسم الفلسفة-جامعة الجزائر –بوزريعة.	121

افتتاحية العدد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة والتسليم.

أما بعد، بتوفيق الله وعونه تُم بجهد القائمين على مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلمية ومشاركات الأساتذة والباحثين من مختلف التخصصات الاجتماعية، هاهي ذي دورية دراسات اجتماعية تتم عامها الأول بصدور عددها الرابع الذي يشكل، مرة أخرى، نقطة التقاء عدة تخصصات علمية و معرفية، عبر مساهمات باحثين شبان أبوا إلا يثروا تطلعاتها الفكرية والعلمية.

يحتوي هذا العدد على سبع دراسات تجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الاتصال وعلوم الشريعة والتربية البدنية. كما تلم، بالمناسبة، مواضيع مختلفة تشترك في إشكالية التعامل والاقتراب إلى التراث الفكري والمعرفي المتداولين والمنتجين في إطار زمني ومكاني مختلفين عن البيئة التي يدرسونها، إنها بمثابة مغامرة فكرية تتطلب العنان والفطنة المنهجية والابستيمولوجية اللتين تسمحان باختيار عناصر وأدوات بحث كفيلة ببناء دراسات منسجمة ومتداخلة الجوانب.

نستهل هذا العدد بمقال حول ظاهرة خطيرة، متفشية في المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات النامية؛ ألا وهي ظاهرة الرشوة: من اللاشرعية القانونية والأخلاقية إلى الشرعية الاجتماعية. تعرضت الباحثة دروش فاطمة فضيلة إلى هذه الآفة التي ترسخت في العرف

الجزائري، عبر مختلف الشرائح الاجتماعية، ومختلف القطاعات الاجتماعية؛ خاصة الخدماتية منها. إلى درجة أصبح معها "الفساد" إحدى البنى الذهنية التي يبني على أساسها الفرد الجزائري سلوكه، ويقيم على أساسها كل أشكال التعامل والتبادلات الاجتماعية مع غيره بما فيهم بنو جلدته.

يردع هذا السلوك الجاني كل من القانونين: الجزائري والشرعي (الدين الاسلامي)؛ إلا أنه سلوك متفش لا يمكن محاربته إلا عبر العمل الثقافي والجهد التربوي.

يتطرق المقال الثاني للدكتورة جويدة عميرة إلى موضوع الوضع الديمغرافي في الجزائر والعوامل المتحكمة فيه إبان الاحتلال الفرنسي، إذ عرف لسنوات طوال تراجعا فظيعا نتيجة للسياسات التدميرية التي انتهجتها السلطات الفرنسية لإخضاع الجزائريين في المراحل الأولى من الاستعمار.كما كان للحروب الدورية التي تفاقمت وتعددت على المجتمع الجزائري أثر سلبي آخر على الوضع الديمغرافي للجزائر .

كان العامل الديمغرافي هاما وحساسا بالنسبة للسلطات الاستعمارية في تشديد الخناق والتكالب على الشعب الجزائري؛ كما كان بمثابة إحدى الخطط التعميرية، والقضاء المبرمج والبطيء على هذا الشعب الأبي.

يعيدنا مقال الأستاذة جاب الله زاهية حول: " موقف الجامعيين من تأثير التعليم الجامعي على التحديث الاجتماعي" إلى الاقتراب إلى التغيير الاجتماعي من خلال الاطلاع على موقف التدريس في إحداث التغيير والتجديد في المجتمع.

تقوم الباحثة بعرض إشكالية ترجح أن التحديث المعرفي يؤدي إلى التحديث المادي وكيف أن تخلف الدول النامية مقترن بمدى الاهتمام الذي تخوله للتعليم. التزمت الباحثة بعرض منهجيات بحثها والتقنيات التي اعتمدت عليها قبل أن تنتهي إلى اختبار وتحليل فرضياتها. تختم الباحثة حديثها بنتيجة مهمة تقر أن تغيير الذهنيات والإيديولوجيات كفيل بإحداث تغييرات في جميع المجالات الاجتماعية إلى جانب أنه سيوفر طاقة بشرية مؤهلة، تقوم على مسايرة ومواكبة العصرنة مع التفتح على تجارب الدول التي حذت حذوها في هذا المجال.

يخاطبنا المقال الرابع لهذا العدد، بدراسة تهم الرياضة في الجزائر، يعدها الأستاذان الباحثان، بوعجناق كمال وزاوي عبد السلام. أما الموضوع الذي تدور حوله هذه الدراسة فهو:" تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية". يشير البحث إلى أن ما يمكن ملاحظته في السنوات الأخيرة هو

تأخر الرياضة الجزائرية على مستوى النتائج الدولية، إذ تتقصر على المشاركة فقط، على الرغم من وجود الكفاءات غير المستثمرة، بالإضافة إلى قلة المنشآت والتجهيزات وفقدان استراتيجية واضحة للتكفل بالرياضة وممارستها.

تعد "الدافعية" من مقومات النشاط الرياضي، بكونها تستحوذ على أكبر نسبة من ميزات النجاح. تكمن "الدافعية" في القوى والحالات الداخلية والتقنية التي تحرك الفرد وتوجهه نحو تحقيق هدف معين. لهذا الغرض، انصب الاهتمام على مدى تأثير "الدافعية" على النشاط البدني والرياضي لتلاميذ الثانويات، وعلى مدى تأثير ممارسة الرياضة في الثانوية على التردد عليها خارج هذه المؤسسة التربوية.

يعيدنا مقال الأستاذة "مسعودي موالخير" المعنون كالتالي: "استهلاك وسائل الإعلام وأثره على الانحراف" إلى الخوض في التفكير في إعادة اعتبار ماهية ووظيفة وسائل الإعلام الجماهيري والتي ظلت تعتبر كوسائل تسلية فحسب، بالتغاضي عن المهام الرئيسية والجوهرية التي أحدثت من أجلها كوسائل ثقافية، تربوية، أخلاقية واجتماعية ذات أبعاد تثقيفية، تكوينية وتربوية كبيرة. كما أنها أيضا، وسائل مفشية للفساد والانحلال والانحراف، ما يجعل منها وسائل ذات حدين : بناءة و هدامة في نفس الوقت؛ لذا يجب أن تخضع للتوجيه القانوني والثقافي والفكري. يتطلب أن تكون هذه الوسائل، أكثر من ذلك، تحت رقابة مؤسسات اجتماعية متخصصة كالهيآت الإعلامية وخاصة الأسر التي ستقوم بانتقاء البرامج المستهلكة وتوجيه أذواق وتطلعات الأطفال.

تنهي الباحثة العمل باستنتاج على خلفية كل تلك النظريات المتكاملة، مفاده أن وسائل الإعلام الجماهيرية مرهونة بالسبل التي تستخدم من أجلها، إما من ناحية منتج المادة أو من ناحية المستهلك. تساهم هذه الوسائل، عموما، في حفظ القيم الثقافية والأخلاقية كما تسهم، بنفس القدر، في تبديلها بقيم دخيلة (هنا يكمن الخطر) أو بقيم جديدة يفرزها المجتمع. ويبقى ذلك قابلا للغربلة والتمحيص.

سنختم هذا العدد بمقال في الفلسفة الإسلامية، للباحث " سعد عبد السلام" والذي يدور موضوعه حول: "إشكالية الوجود الطبيعي في الفكر الفلسفي الإسلامي" يتطرق النص، بصفة استثنائية إلى أعمال عالم فذ يكمن في شخص "ابن حزم" الذي اهتم هو أيضا كباقي العلماء المسلمين بالبحث في مسائل الطبيعة.

إن هذه الدراسة، مبادرة نيرة تسلط الضوء على أعمال فكرية نادرة عرفت كيف تقيم وتحافظ على المسافات بين الفكر الطبيعي الفلسفي والفكر الشرعي، فلكل واحد منهما إطاره المعرفي، ويتعامل تعاملا متميزا مع العقل والوجود، ولا يلزم بالضرورة، إحداث وإيجاد جسور أو اتفاقات بينهما ما دام غير متلازمين زمنيا ولا مكانيا.

نأمل أن يلقى البحث اهتمام الباحثين والطلبة و أن تفتح، المواضيع المقترحة، باب التفكير و النقاش. كما نأمل أن توفيدونا بإقترحاتكم وآرائكم. إن خدمة المعرفة و خدمة البحث من أولى اهتماماتنا.

رئيس التحرير

ظاهرة الرشوة

من اللاشرعية القانونية والأخلاقية إلى الشرعية الاجتماعية

د/دروش فاطمة فضيلة – جامعة المسيلة

من الظواهر التى شاعت وتفشت في مجتمعنا، ظاهرة الرشوة . وتتعدد تسمياتها في اللغة اليومية كأن يطلق عليها " قهوة"، "تشيبه" أو حتى "حق" .وإذ تحمل اللفظتان الأولى والثانية مؤشرات العنف الرمزي الممارس ضد الآخر فإن لفظة "حقي" تحمل مؤشر التأسيس والتجذر للظاهرة ليس في المجتمع فحسب بل حتى في ذهنيات الأفراد.

وهذا ما جعل خطاب الرشوة قائما وجمهور الإشكالية أو الظاهرة المستشرية إلى حد الترسخ بالقوة العرفية، يتمثل في شرائح اجتماعية متنوعة أو جماعات مهنية عديدة وأصحاب معاملات يؤدون الخلاص في إنجازها من الدوائر المختصة . وفي قراءة لكتاب "خطاب الرشوة"، أحصى في ثقافة الارتشاء 892 تعبيرا اصطلاحيا أو صيغة خاصة وهو مبلغ استغرق كنايات الرشوة وتوصيفاتها والأمثال الشعبية والأقوال السائرة والتعابير المتداولة. ولعل مسوغات البحث جعلته يندرج تلقائيا في علم اللغة الاجتماعية.هذا الخطاب الشعبي المتنامي في المجالات الخدماتية يعكس في الأساس معالم ثقافة غير مشروعة، ذرائعية، مستشرية في سلوك الناس وهي من ثم آخذة في التزايد في سياق امتهان وترويج طرائق الشطارة أو الحذلقة أو حسن التخلص لكنها في جوهرها تبقى صارخة الدلالة على ألوان الحيلة أو الفساد القيمي الذي بات معروفا للعيان.[1]

وتبقى الظاهرة مهما تعددت تسمياتها مرتبطة بالفساد والانحراف .ونشير إلى أنه لا يوجد اتفاق ثابت على جوهر الانحراف، إذ يرى علماء الاجتماع الذين بحثوا فيه أن

([1]) رياض زكي قاسم، "خطاب الرشوة، دراسة لغوية اجتماعية "مجلة إضافات، العدد2، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ربيع 2008.

تحديد معناه وردة الفعل المجتمعية إزاءه يعتمدان على سياق كلام الشخص وسيرته وهدفه.[1]

وعلى العموم فإن عملية الرشوة في معناها الشائع أو المتداول، تعني تقديم عمولة لقضاء مصلحة.العمولة يمكن أن تكون دينارا أو ألفا أو ألافا أوملايين ويمكن أن تكون شيئا آخر بسيطا أو ثمينا. أما المصلحة فقد تكون ضمن الحقوق وقد تكون امتيازا. ومن المصالح التي تندرج ضمن الحقوق نجد استخراج وثائق إدارية من مصلحة عمومية، أو حق الاستشفاء في مستشفى عمومي، حق التكوين، الحق في الشغل إذا توفر، الحق في السكن. كل هذه الحقوق تضمنها الدولة بالمجان بل وتخصص ميزانية كبيرة لتحسين الخدمة في مختلف القطاعات. وهنا السؤال: كيف يتسرب فعل الرشوة بين المكلف بتقديم الخدمة الإدارية وضمان حسن سيرها والمواطن، أي طالب الخدمة، والتي تعد حقا من حقوقه المدنية؟من الفاعل ومن المفعول به ؟وبمعنى قانوني أيهما الضحية وأيهما مرتكب الجرم؟ ماذا لو سألنا الطرفين ؟

السيناريو الأول: عندما تكون الحاجة حقا مدنيا:

ط1: غلاء المعيشة وقلة الراتب الذي ينفذ في أسبوع يجعل أي مدخول إضافي مستحب مهما كان مصدره. متطلبات الأبناء كثيرة وضرورية ولا يمكن تلبيتها ولا أحد يقرضك دينارا اليوم.

ط2: أحتاج للوثائق في أسرع وقت ولا يمكنني الوقوف في الطابور، المهم عندي قضاء حاجت . والموظف يتماطل وينتظر من يفهم نفسه .(وقد تكون الوثيقة المطلوبة غير قانونية).

أما عن الامتيازات،فطرفاها يمكن أن يكونا في مناصب عليا أو من أصحاب المشاريع الكبرى. الامتياز يتمثل في الحصول على مناقصة، على قروض ...

(1) جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان،الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت،ط1، 2009.ص59

السيناريو الثاني: عندما تكون الحاجة امتيازا:

ط1: تعرض عليك مغريات لا يمكن ردها، وإن أنت رفضتها فغيرك يقضي المصلحة وينالها.

والرفض يمكن أن يجلب لك المتاعب وقد تفقد منصبك أو تلفق لك أي تهمة.

ط2: إنها المنافسة، والسوق لا يرحم. وإن أنت لم تدفع فغيرك يدفع.وهكذا هي الأعمال في كل بلدان العالم.

ومن هذه السيناريوهات الممكنة يمكن أن نطلق على فعل الرشوة المفهوم التالي: تطلق على دفع شخص أو مؤسسة مالاً أو خدمة من أجل الاستفادة من حق ليس له، أو أن يعفي نفسه من واجب عليه.ولفظتا "حق" و"واجب" اللتان وردتا في هذا المفهوم تدخلنا مجالا لا يمكن تجاهله وهو الجانب القانوني. ومنه التساؤل الجوهري، ما هو موقف التشريعات المختلفة من الرشوة؟

تنقسم التشريعات الحديثة في نظرتها إلى الرشوة إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أن الرشوة تتكون من جريمتين مستقلتين إحداهما يرتكبها الراشي والأخرى يرتكبها المرتشي، وهذا يعني أن كل جريمة يصح فيها العقاب مستقلة ومنفصلة عن الأخرى، فكل منهما تعتبر جريمة تامة بكل عناصرها وأوصافها وعقوبتها، ويصطلح على تسمية جريمة الراشي " جريمة الرشوة الإيجابية " وجريمة المرتشي "الرشوة السلبية" .

الاتجاه الثاني: يرى هذا الاتجاه أن جريمة الرشوة هي جريمة واحدة، جريمة موظف يتاجر بوظيفته، فالفاعل الأصلي هو الموظف أو القاضي المرتشي أما الراشي فهو شريك له يستعير منه إجرامه .

أخذ القانون الجزائري بالاتجاه الذي يجعل من جريمة الرشوة جريمتين مستقلتين، حيث ينص القانون في المادة 126 و127 من قانون العقوبات الجزائري على جريمة الرشوة

التي يقترفها المرتشي وفي المادة 129 من نفس القانون على جريمة الرشوة التي يقترفها الراشي وإن لم يذكر كلمة الراشي صراحة. [1]

ومن أمثلة الفساد وقضايا الرشوة التي تتداو لها وسائل الإعلام المكتوبة في الجزائر قضية تحويل الأموال بطرق لامشروعة من طرف البنوك الخاصة والذي كلف الدولة 689 مليون أورو بين 1999 ـ 2003، قضية تحويل 21 مليار دولار من البنك الوطني وهي رواتب موظفين، تصفية ممتلكات شركة الاتصالات 222 مليون دولار.مما أدى إلى إصدار مرسوم قانوني يقضي بإنشاء وكالة محاربة الرشوة.

إن الجانب القانوني يجعلنا ننظر إلى فعل الرشوة كفعل مشين مخالف للقانون، غير أخلاقي مرفوض في كل التشريعات والثقافات ولكن هناك حقيقة اجتماعية لا يمكن تجاهلها تؤكدها اللغة اليومية، كما أشرنا، وهي استفحال هذا الفعل وتحركه في اتجاه التأسيس مما يسمح لنا بالحديث عن ظاهرة الرشوة . فقوة الكلمات وسلطتها لا تكمنان في كونها تستخدم لمجرد التعبير الشخصي عند من لا يكون إلا حاملا لها ناطقا بلسانه فمن عهد إليه أن يكون ناطقا باللسان لا يستطع أن يؤثر عن طريق الكلمات على أعضاء آخرين، ويؤثر عبر أعمالهم على الأشياء ذاتها إلا لأن كلامه يكثف الرأسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت إليه الكلام ووكلت إليه أمر النطق باسمها وأسندت إليه السلطة. [2]

فالسيناريوهات السابقة والتي تم بناؤها انطلاقا من ملاحظات ومقابلات تجعل الفعل يحمل صفات الظاهرة السوسيولوجية كالقهرية والعمومية والتلقائية.فرغم النصوص القانونية الواضحة والتي تجرم مثلا الموظف الذي يؤدي مهمة تدخل في اختصاصه مقابل مال أو هدية فإن هذا المقابل يعد عند الكثير من هذه الشريحة حقا من حقوقه.ويمكن أن نذكر نكتة حول المسألة:أراد أحد الأشخاص الزواج مرة ثانية دون علم زوجته الأولى وهذا مالا يسمح به القانون فنصحه أحدهم بتغيير مقر السكن واستخراج شهادة ميلاد وشهادة عائلية من بلدية أخرى تدل على أنه مولود هناك،

(1)"جريمة الرشوة في القانون الجزائري". منتدى العلوم القانونية والإدارية، موقع الكتروني 9alam . com

(2) بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، دون سنة، ص65

وهكذا يجري إجراءات عقد الزواج كأعزب. ودله على موظف في البلدية يمكن أن يؤدي المهمة . وكان له ما أراد وقدم للموظف مبلغ ألف دينار مقابل الخدمة فأرجع له هذا الأخير أربعين دينارا قائلا: لا آخذ إلا حقي فأنا لست بسارق...

إن هذا الفعل لا يمكن أن يكون وليد ظروف عابرة أو أزمة اقتصادية أو أخلاقية بقدر ماهو نتاج ميولات وجودية أي طبائع ونزوات بشرية فطرية بالدرجة الأولى ثم نتاج تراكمات ثقافية مزكية للعامل الأول وعوامل أخرى قد تكون اقتصادية وسياسية وهذه العوامل ليست منفصلة عن بعضها .فكل ثقافة على قول "ليفي ستروس" وكل مجتمع يتكون من مجموعة مترابطة من المستويات أو الأنساق الرمزية كاللغة والنسق الاقتصادي والنسق القرابي وقواعد الزواج والفن والدين والعلم والأسطورة واللباس والطبخ والمعمار...وكل نسق أو مستوى يترابط في العادة مع غيره بعلاقات متكافئة لا يكون بمقتضاها أي منهما مهيمنا على الآخر وعلى الكل. ويسعى كل نسق وكل مستوى من مستويات المجتمع والثقافة إلى التعبير عن مظهر من مظاهر الواقع الاجتماعي من جهة وعن العلاقات التي تربط هذين الواقعين من جهة ثانية وعن العلاقات التي تربط كل نسق بغيره من الأنساق الأخرى من جهة ثالثة.[1]

كما نود أن نبدي ملاحظة أخرى قبل الغوص في التحليل السوسيولوجي للعوامل المذكورة المزكية الظاهرة، وهي أن علم الاجتماع يمكن أن يكون علما إنسانيا ويمكن أن يكون ضد الإنسان، يمكن أن يسهم في حل المشكلات وزيادة الإنتاج وتنمية الدافعية والمشاركة في التخطيط ويمكن أن يكرس التخلف وخدمة الأقلية ولعل هذا ما جعل عالم الاجتماع الأمريكي بيير بيكر Becker يلقى سؤاله الحاسم: إلى جانب من نقف؟هل نأخذ جانب المسيطرين أم الخاضعين، الحكام أم المحكومين؟ [2]

إن مفهومنا للثقافة هو الذي يحسم مواقفنا تجاه القضايا الحيوية. وفي مفهومنا فإن الثقافة رؤية عامة إلى الحياة والمجتمع، تتجسد في السلوك الفكري والوجداني

([1]) عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الخطاب، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1 بيروت 2008 ص 152.

([2]) عبد الباسط حيمر، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المعرفة، الكويت، 1981، ص152.

والأخلاقي والذوقي للإنسان عامة. وعليه فإننا نعيش لا محالة في مجتمع زاخر في تصوراته وسلوكه وعاداته وأذواقه بثقافات متنوعة نابعة من ملابسات اجتماعية شتى.

وعموما فإن العمل الثقافي هدم وبناء يتجه وجهة استتباب القيم التي تتلاءم ومبادئ المجتمع الجديد، وإن المهمة الثقافية الأساس على هذا الصعيد، ليس تقديم إجابات نهائية حول الأسئلة الملحة، وإنما تعميق هذه الأسئلة، وإدارة حوارات فكرية عميقة لكل القضايا والإشكاليات المتداولة في الفضاء الاجتماعي والثقافي، من أجل إنضاج رؤى وخيارات ثقافية جديدة للمجتمع والوطن كله. فالمطلوب اليوم ليس الانزواء والانكفاء عن القضايا الثقافية الملحة، وإنما التعامل والتفاعل معها، والكتابة المتواصلة حولها، والانخراط في مشروعات تعميم الوعي والمعرفة بها لكل الشرائح والفئات. وحول فعل الرشوة كما سبق وأشرنا فإن عوامل عديدة مترابطة ومتماسكة تجعل منه فعلا يبدو اجتماعيا بكل ما تحمله صفة اجتماعي من تلقائية وقهرية والعمومية رغم ما يحمله هذا الفعل من بصمات الفساد واللا أخلاق.

1- **الطبائع والنزوات:**

يميل الإنسان بحكم الفطرة إلى المال والثروة . ليعتبره البعض وسيلة لتحقيق الرفاهية ويجنح البعض إلى تكنيزه، ويرى فيه آخرون أداة لتحقيق الذات والتفوق على الآخرين .وقلة من البشر من لا يعيره اهتماما ويكتفي أو يقتنع بما كسبت يداه أو مما رزقه الله. ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله عز وجل ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (سورة الفجر: الآية 20) ومن آياته العظيمة الدالة والمنبهة لنسبية الغنى وزوال الثروة مهما تكاثرت:﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾. سورة محمد: آية 38

وأهمية المال في الحياة تظهر لنا كذلك في كون الصراعات القائمة بين البشر والجماعات على نطاق ضيق أو واسع نواتها الأساسية مادية أي أنها قائمة من أجل الاستيلاء على الخيرات والتفوق في الحصول على أكبر قدر من الأموال ولا نقول ذلك بالرجوع إلى فلسفة العقد الاجتماعي التي ناقشت فكرة الإنسان أميل إلى الخير أو

الشر بل نتيجة دراسة سوسيولوجية قمنا بها واستنتجنا أن الصراعات القائمة بين مختلف الأطراف دافعها الرئيسي المال [1].

وتختلف التصورات حول السبل المؤدية إلى المال .فعند بعض الأشخاص، السبيل السهل هو الأفضل ولا تهم مشروعيته أو ما يمكن أن ينجر عنه من مآسي أو مظالم. بينما يعير بعض الأفراد أهمية قصوى لمشروعيته وعدم المساس بحقوق الآخرين. ويذهب آخرون إلى اعتبار تجاوز الصعاب وتحدي الظروف واستغلال الوقت والفرص هي أنجع السبل للحصول على المال. وكان ابن خلدون قد صنف طرق الكسب ولاحظ من جملة ملاحظاته حول البربر أنهم يفضلون أسهل الطرق ولذلك فهم على غرار سكان المشرق أو أهل مصر يلجئون إلى الأعمال السحرية أي الطلاسم للحصول على الكنوز والأموال المفقودة. يقول ابن خلدون: "فإذا عجز عن الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه إلا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة." [2] "إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه، على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية، وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه ... ويسمى اصطيادا، وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله .... أو أن يكون من النبات في الزرع والشجر... ويسمى فلحا. وإما أن يكون الكسب من الأعمال الإنسانية وتسمى الصنائع من كتابة وخياطة وحياكة وفروسية وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض ... ويسمى تجارة ."[3]

2- التراكم الثقافي:

الثقافة اعتقاد وممارسة يمكن إظهار ملامحها من خلال العلاقات الاجتماعية، النمط التربوي، الممارسات السياسية، الأنشطة الفكرية، أي من أبسط فعل إلى أعقده، وسنكتفي هنا بطرح بعض الملاحظات حول العلاقات الاجتماعية وملاحظات بسيطة حول التنشئة الاجتماعية وعلاقتهما بظاهرة الرشوة في ثقافتنا العربية.

([1]) دروش فاطمة فضيلة، الصراع ودلالته السوسيولوجية في الرواية الجزائرية . أطروحة دكتوراه تحت إشراف الأستاذ عبد الرحمن بوزيدة، جامعة الجزائر، 2007ـ 2008)

([2]) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982، ص507).

([3]) نفس المرجع، ص 682

أ - **التربية والعلاقات الاجتماعية**، إن نمط التربية والتنشئة الاجتماعية، وطبيعة العلاقات السائدة، لم تنشأ من فراغ بل لها جذور ثقافية من الضروري مساءلتها. فالتنشئة الاجتماعية هي عملية تعلم ليكون المرء عضوا في مجتمع ما ويصبح من خلالها كائنا اجتماعيا وهي تجربة دائمة وتكتمل من خلال التفاعل مع الآخرين والمشاركة في روتين الحياة الثقافية اليومية كما يقر مفهوم التنشئة بأن الهويات الاجتماعية والأدوار والسير الذاتية الشخصية تتكون من خلال عملية متواصلة من الانتقال الثقافي [1].

والثقافة في التعريف الاجتماعي هي "انعكاس للعمل الاجتماعي الذي يبذله شعب من الشعوب بكافة فئاته وطوائفه، ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الاجتماعي من علاقات متشابكة، وجهود مبذولة واتجاهات".

ونلاحظ من خلال اللغة اليومية **أن** نمط التربية السائد، يشجع على غرس ثقافة الرشوة. كأن نقول للصبي مثلا، للتعبير عن حبنا له: "بوسني نعطيك حلوة " الأم لابنتها: "اغسلي الأواني نعطيك تشري حاجة". أبقى في البيت وأنا نديك تحوس. هي معادلة: "شد مد". أو غرس فكرة تسبيق شيء لقضاء حاجة معنوية كانت أو مادية حتى في العلاقات الزوجية تشيع الظاهرة .

إن المثل الشائع "بوس الكلب من فمه حتى تقضي صلاحك منه " يحمل دلالات عدة من أهمها الحث على الاستعداد للقيام بأي شيء مهما كان متدنيا للوصول إلى المبتغى، كما يدل على كون التنازل المعنوي - إهانة الذات - هو أقصى ما يمكن أن يدفعه الإنسان لقضاء حاجته.

وفي دراسة شيّقة حول علاقة الحكاية الشعبية بالبناء الاجتماعي والثقافة بينت الباحثة "تسعديت تيتوح" كيف يصبح الحيوان وكذا الشخص الذي يتصف بالتحايل والتلاعب والمكر هو المسيطر وهو النية من جهة أخرى المثل الشعبي" يسرق مع الذيب ويبكي مع الراعي" وغيرها من القيم السلبية.[2]

([1])جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، مرجع سابق، ص132.

([2])Tassadit Yacine Tittouh, chacal ou la ruse des domines, Ed casbah, Alger; 2004:p64

بالرجوع الى سوسيولوجيا الحياة اليومية يمكن أن نبدي بعض الملاحظات حول اللغة المتداولة كقولنا "هذاك حابس" للدلالة على شخص لا ينشط ولا يبيع ويشتري في الكلام .... ونقيضه "نفيقي" navigue للدلالة على شخص نشط يعمل في كل المجالات دون تخصص معين .تجده يمتطي سيارة فخمة ويسكن شقة فاخرة ويحمل بطاقة بطال.

ب ـ الرشوة في الثقافة العربية ، تطلق على الظاهرة، البرطلة، الجعالة، البذل، الهدية وقد شاعت الظاهرة في التاريخ العربي في العصور الوسطى .

وفلسفة الهدية عند العرب فيها معاني الرشوة ومن أقوال العرب :"نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ". "من قدم هديته نال أمنيته ومن لم يقدم المئونة لم يظفر بالمعونة".

وكانت العرب تقول أيضا:" ما أرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلت السخائم ولا أغمدت الصوارم بمثل الهدية".

وبعد مجيء الإسلام يجمع الأئمة على أن أوّل من رشا في تاريخ الإسلام، كان المغيرة بن شعبة، وقد حصل ذلك حين كان يلي الكوفة عام 42 هـ/662 م من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فوقف في وجه ولايته زعماء الأحزاب والفرق السياسية في ذلك الوقت، فكان ذلك واعزا له لاستخدام جميع الوسائل ومنها غير المشروعة مثل بذل المال والرشوة من أجل حفظ نفسه والاحتفاظ بمنصبه.

وفي الأخبار عن حوادث وقعت للصحابة، روى ابن منظور، أن ابن مسعود، أخذ بأرض الحبشة في شيء، فأعطى دينارين حتى خلي سبيله، وقد رأى أئمة التابعين فيما حدث نوعا من البذل الذي يجب على الرجل أن يصانع به ليدفع الأذى عن نفسه وماله إذا شعر أنه مهدد بالخوف أو بالظلم.وفي المحاولتين دلالتان، الأولى تقديم رشوة من أجل الحفاظ على المنصب والثانية لإخلاء السبيل.

ولعن الرسول ﷺ الراشي والمرتشي، كما جاء في الحديث الشريف وشدد على العمال بعدم قبول الهدايا. ويروى في كتب الحديث أنه استعمل رجلا من الأزد يقال له ابن اللّتبيَّة على الصدقة، فلما قدم قال، هذا لكم، وهذا أهدي إلي، فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال :"ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم

وهذا أهدي إلي، فهلا جلس في بيت أمه أو أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده لا يأخذ أحد منه شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ثلاثا".[1]

وفي هذه الحادثة وجوب التمييز بين الهدية والرشوة، إذ كان الرسول يقبل الهدية ويحث على التهادي وأنكر أن ترد خاصة إذا كانت من الطيب قال أنس: "أن النبي ﷺ كان لا يرد طيبا"[2]. وكان يحبذ الهدية عن الصدقة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان الرسول ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة فإن قيل صدقة قال لأصحابه كلوا ولم يأكل وإن قيل هدية ضرب بيده ﷺ فأكل معهم ".[3]

لم يميز الرسول بين الهدية والرشوة فحسب بل وبين الهدية والصدقة فالعطية كفعل اجتماعي في الشريعة لا تبرر بل تصنف وفق غرض فاعلها ومستقبلها وهكذا لا يحدث أي لبس ولا يترك المجال للثغرات التي لا تضر طرفي الفعل بل تضر بالمجتمع بأكمله وهذا ما أكده عبد الرحمن بن خلدون عند دراسته لقواعد العمران . كما سنوضح ذلك عند دراسة عواقب استفحال الرشوة .

وأخذت الظاهرة في التفشي في العصر العباسي بين صفوف أفراد الطبقة الشريفة الذين كانوا يسعون للحصول على مناصب رفيعة في الدولة وكان الطالبون لهذه المناصب يتنافسون في السعايات والوساطات ودفع الرشاوى حتى إلى نساء القصر للوصول إلى مركز الوزارة ومما يحكى أن الربيع حاجب الخليفة المنصور، كان قد توسط ليعقوب بن داود في منصب الوزارة برشوة مقدارها مائة ألف دينار .وحين حصل الوزير على منصبه بعد نجاح سعاية الربيع، حاجب الخليفة، سارع ليصادر أموال الوزير السابق التي جمعها أثناء وزارته، كما حمل عليه وعلى زوجه وجميع أفراد

([1]) الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة البخاري الجعفي،صحيح البخاري،ج3،دار الفكر،بيروت 1981، ص136.

([2]) نفس المرجع، ص 133.

([3]) نفس المرجع، 131.

عائلته وعذبهم وصادر منهم جميع عائداتهم المالية وما يتصل بها من متاع ثمين وفراش وثير .فالوزير الذي كان يتقلد منصبه كان يضع في ذهنه استرداد ما خسره من أموال. ومن الوزراء من اشتهر بكثرة التولية والعزل، إذ كان يعين في المنصب الواحد رجالا كثيرين واحدا بعد الآخر لكسب رشاوى كثيرة .

وتفشت ظاهرة الرشوة في العصر العباسي وعلى الأخص في الدواوين المصرية ،لتشمل أصحاب الشرطة. واشتهر كثير من القضاة بسوء السلوك وانحراف في الخلق بقبولهم الرشاوى وأثناء ولاية موسى بن مصعب على مصر عام 783/167م من قبل الخليفة العباسي المهدي عمل سكان مصر على معاداته ومعاداة العباسيين الذين حملوه إلى هذا المنصب وذلك لأنه كان يرتشي في الأحكام ويرتب الدراهم على أهل الأسواق وعلى أصحاب الدواب [1].

وعليه فالشريعة الإسلامية رغم إدانتها للظاهرة بل وتحريمها لم تستطع أن تقضي عليها بل انتصرت ثقافة التحايل واللبس على الضوابط مثلها مثل استمرارية ظواهر أخرى كالزنا بمسميات مختلفة كزواج المتعة أو العرفي أو المسيار .

بعد مناقشتنا للعامل الثقافي،والذي نعده النواة الرئيسية لتواجد أي ظاهرة أو قابلية وجودها ، من زاوية الباحث السوسيولوجي نبحث في العوامل الأخرى المساعدة في الانتشار ونتساءل: هل انتشار الرشوة يعود إلى العامل الاقتصادي المتمثل في تدني القدرة الشرائية للموظف،تزايد الحاجات، أم إلى العامل السياسي،فساد في السلطة؟ وهنا السؤال الاستفزازي: من يراقب من؟

3- العوامل السياسية والاقتصادية:

ترتبط الظاهرة في عصرنا بالنظام السياسي سواء كانت لها جذور تاريخية في الثقافة المحلية كما أوضحنا ، أو تفشت بسبب الظروف الاقتصادية وتعد مؤشرا من مؤشرات الفساد السياسي.

([1]) د. قصي الحسين، أركيولوجية الفساد والسلطة، دار البحار، بيروت، ط1، 2009،ص 258.

وتكون الرشوة بنسبة أعلى في الأنظمة السياسية التي لا يوجد عندها مساحة كبيرة من الديمقراطية والشفافية والمساءلة. ولا تتاح فيها حرية التعبير والرأي والرقابة، بحيث لا تخضع تصرفات السلطة السياسية للتنقيب والمساءلة والنقد، في ظل عدم وجود أجهزة إعلام حرة قادرة على كشف الحقائق وإظهار مواطن الفساد .

كما يساعد على انتشار الرشوة ضعف السلطة القضائية بحيث تبدو فاقدة لاستقلالها عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، الأمر الذي يؤدي إلى أن القانون لايطبق على الجميع وأن هناك أشخاصا فوق القانون تبعاً لمنصبهم السياسي والإداري .

فالرأسمالية بطبيعة إيديولوجيتها الفر دانية والتي تمجد الغنى الفاحش على حساب الأخلاق تجد استعدادا في الذهنيات التي تقدر الشخص المتحايل على الناجع، تبرر قلة الاحترام للسلطة. وانتقال الأشخاص من الوظائف العمومية إلى إدارة المؤسسات الخاصة يسهل عقد الصفقات وتبادل المصالح وتأسيس خطاب الرشوة. وتعميم الرشوة في النظام الرأسمالي يؤدي بالضرورة إلى انتشار الاقتصاد الإجرامي. [1]

أما عن العامل الاقتصادي في الجزائر فنذهب بالقول إن ظاهرة الرشوة برزت بحدة في مرحلة الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر حين شرع في التنازل عن ممتلكات الدولة بمبالغ رمزية وهنا الوساطة أصبحت هى الطرف الرئيسى في المعادلة. وانتقلت الملكية من الدولة إلى مجموعات وأفراد أقل ما يقال إنهم كانت لهم أيد في مسارات الفشل والإفلاس.ولعل المقام لا يسمح بالخوض في المسألة ثم نقص المعطيات لا يسمح بالجزم وما تتناقله وسائل الإعلام والشارع لا يسمحا بالتأكيد .ولذلك نكتفي بالملاحظة والإشارة كون الظاهرة تتغلغل في كل القطاعات الحيوية وهذا ما أكده التقرير الصادر عن منظمة "الشفافية" : القطاعات التي شملتها الظاهرة حسب ذات التقرير :الأحزاب السياسية، البرلمان، القطاع الخاص والأعمال، الجيش، التربية، العدالة، الصحة، الشرطة، مصالح رخص السيارات، الضرائب، الجمارك، الاعلام . وحسب ذات التقرير فإن الجزائر تصنف ضمن الدول الأكثر استفحالا للظاهرة وهذا ما يؤكده الجدول التالي :

(1) Herve Kempf ,Pour sauver la planète,sortez du capitalisme, Ed Le Seuil, Paris,2009.P 25.

جدول تصنيفي وتنقيطي :

الدولة	التصنيف	التنقيط
تونس	6	4,4
الكويت	7	4,3
المغرب	8	3,5
العربية السعودية	8	3,5
الجزائر	10	3,2
لبنان	11	3,2
مصر	13	2,8
ليبيا	14	2,6
اليمن	15	2,3
سوريا	17	2,1
العراق	18	1,3

. El Watan 22 octobre 2009 عن منظمة شفافية دولية

وسواء ارتبطت الظاهرة بالثقافي، الاقتصادي أو السياسي وسواء اتخذت لنفسها اسم الهدية أو نسبة البذل أو غيرها، فإنها كانت وستبقى تحمل مظهر التعفن والفساد وسوء الأخلاق بالإضافة إلى إدانتها من طرف كل الشرائع السماوية.

تداعيات الظاهرة:

لم نجد أعمق وأدرى من ابن خلدون في دراسة عواقب استفحال الظلم أو أخذ أموال الناس بالباطل.

اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك.[1] "أيها الملك إن الملك لا يتم

([1]) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 507.

عزه إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشريعة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل .والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة، نصبه الرب وجعل له قيما ،وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت إلى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال، وقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة، فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك. ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع،فانجلوا عن ضياعهم وخلوا عن ديارهم وآووا إلى ما تعذر من الضياع فسكنوها ،فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الأموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك." [1]

ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك .وكل من أخذ ملك أحد أو غضبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله.[2]

ويذهب ابن خلدون إلى أبعد حد في كون الظلم في أخذ أموال الناس يؤدي إلى زوال النوع البشري (وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري).

ويمكن قراءة مقولة ابن خلدون بمنظور ما يحدث اليوم ونقول إنه من عواقب انتشار الرشوة في المجتمع ما يلي:

- هجرة أصحاب رؤوس الأموال، ونضيف هجرة الأدمغة الذين يرفضون العمل في أجواء التعفن والفساد .

([1]) نفس المرجع ص 508،509.

([2]) نفس المرجع، ص 510.

- فشل مشاريع التنمية. إذا كان الحصول عليها يتم بطرق غير شرعية فإن إنجازها سيكون بطرق غير سليمة. ومثاله سقوط القناطر وسوء الطرق بعد أشهر من إنجازها.

- تنصيب أشخاص في وظائف غير قادرين عليها ومن ثم تعطيل الخدمات.

- تفاقم المشاكل الاجتماعية مثل مشكل السكن.

- إهدار الطاقات وعدم إمكانية التجديد.

- انعدام الثقة بين مختلف القوى الاجتماعية.

- اتساع الهوة بين الحكام والمحكومين.

ومنه نستشرف إعادة إنتاج التخلف، وشيوع حالة القلق والغموض واللاثقة .

الوضع الديمغرافي في الجزائر والعوامل المتحكمة فيه
أثناء الاحتلال الفرنسي

أ / جويدة عميرة- جامعة الجزائر

أجري أول تقدير للسكان في الجزائر بعد سقوطها في يد الاستعمار الفرنسي سنة 1836[1] وقدر حينها بحوالي 679 487 نسمة، كان منهم 330 180 أجنبي/معمر سواء من الجنسية الفرنسية أو الجنسيات الأوروبية الأخرى.

فعند وصول الفرنسيين إلى سيدي فرج عام 1830، تبعهم بعد ذلك عدد من المهاجرين الفرنسيين (سياسة بيجو Bugeaud) حيث قدرت نسبتهم سنة 1844 بـ 44% أي 000 11 ساكن من بين 000 25 أوروبي.

إن عدد الجزائريين مع بداية الاحتلال الفرنسي كان مرهونا بالأوضاع التي كانت سائدة آنذاك ،خاصة تلك التي كانت تتعلق بحركة المقاومة ، هذه الأخيرة مع انتشار الفقر والبؤس عملت على توقيف حركة النمو السكاني في المجتمع، حيث كانت الوفيات تفوق عدد الولادات في بعض الأحيان وعرفت بذلك زيادة متوسطة وسالبة خاصة ما بين 1861 – 1866 و1866 – 1872. كما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم 1: تطور معدل النمو السنوي في الجزائر ما بين 1856 – 1896.

الفترة	معدل النمو الطبيعي%	الفترة	معدل النمو الطبيعي%
1861 – 1856	2,9 +	1881 – 1876	2,8 +
1866 – 1861	0,5 -	1886 – 1881	3 +
1872 – 1866	3,6-	1891 – 1886	1,7 +
1876 – 1872	3,9 +	1896 – 1891	1,1 +

Source: Abdelhani Guend. La population de l'Algérie, évolution passée et perspectives d'avenir, OPU, Alger, 1994, p.8

(1) ONS. Collection statistique, N°18, Alger, Mars 1988, P.27

فلم يكن النمو السكاني في الجزائر مستقرا في الفترة الممتدة ما بين 1830– 1886، تارة ينخفض وتارة أخرى يرتفع، والسبب في ذلك هو رفض الشعب الجزائري للاحتلال الذي عبر عنه بالمقاومات الشعبية.فتعرضت بذلك عدة قبائل إلى الهلاك والترحيل الإجباري إلى المناطق النائية – الصحراوية والجبلية - و حتى إلى الشرق الأوسط من أجل السيطرة على المناطق الشمالية والأراضي الخصبة.ففي سنة 1858،و صل عدد الأوروبيين في الجزائر إلى حوالي 000 189[1]. هذا العدد انخفض إلى 000 160 سنة 1886. وفي وهران فقط سنة 1911 أحصي حوالي 000 95 فرنسي الجنسية و000 92 إسباني [2] معمر، هؤلاء المعمرون بطبيعة الحال استولوا على الأراضي الخصبة الجزائرية .و لقد قامت السلطات الفرنسية بإصدار مرسوم 24 مارس 1843 الذي نص على حجز الأملاك الدينية/الحبوس[3] ha bous والأراضي الحكومية البايلك Le Beylik والتي هي أصل ملكية الداي، ثم أصدرت كذلك قانون 16 جوان 1851 [4] الذي أعلنت فيه امتلاكها للغابات الجزائرية – هذا القانون الذي فرق بين الملكية ذات الميزة الفردية وملكية العرش ذات الميزة الجماعية – وإثر هذا بلغت ملكيات الأوروبيين للأراضي الخصبة والغابات سنة 1850 حوالي 000 115 هكتار، وفي سنة 1870 بلغت حوالي 000 765 هكتار، ثم حوالي 000 635 1 هكتار سنة 1890.[5]

إذا هذا الاستيلاء على الأراضي الجزائرية من طرف المعمرين أدى إلى بؤس وفقر السكان. فتزايدت الأمراض والأوبئة كالتيفيس الذي انتشر في سنة 1861 و1863 و1872 والكوليرا Choléra ما بين 1867 – 1868.

كل هذه العوامل أدت إلى تذبذب المسار الديموغرافي للسكان الجزائريين والذي تميز بمعدلات عالية للوفيات، فمثلا في سنة 1842 توفي 90 ساكن من أصل 300 ببوفريك لوحدها بسبب الملاريا وفي نفس السنة توفي 250 مهاجر/معمر كذلك بالكوليرا في منطقة مرنقو Marengo. [6]

(1) Daniel Rivet. "Le rêve arabe de Napoléon II", in l'histoire, Op.cit, P. 27

(2) Benjamin Stora. Histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954, La découverte, Paris, 1991, P.31

(3) Bernard Drez. "Main basse sur les terres", in l'histoire, Opcit, P. 35

(4) IBID, P. 26

(5) Benjamin Stora. Opcit, P. 48

(6) IBID, P. 30

ونظرا لارتفاع عدد المصابين بالأوبئة والأمراض الأخرى مع حلول الاستعمار الفرنسي بالجزائر أنشأ جوزاف St Joseph وأخته سنة 1835 مؤسسة استشفائية Le Baron de Vialar في بوفاريك لاستقطاب الأهالي وهذا إثر وباء الكوليرا لسنة 1835، كذلك أنشئت مؤسسة استشفائية في أعالي العاصمة/ببوزريعة أين كان يعالج اليهود الفقراء الذين أصيبوا بهذا الوباء.(1)

إلا أن أهم فترة انخفض فيها عدد السكان بالجزائر كانت ما بين 1861 – 1872 والتي سماها المؤرخون – بالمذبحة الديموغرفية – حيث خلفت خسائر بشرية كبيرة.

فبالإضافة إلى عملية التجويع باستلاب الأراضي الجزائرية وما نتج عنها من أوبئة وأمراض نجد أن الاستعمار الفرنسي انتهج سياسة كانت ترمي دائما إلى التقليل من السكان الأصليين، وفي المقابل تشجع الهجرة الأوروبية نحو الجزائر بتقديم امتيازات وإغراءات مالية ومادية كالأراضي، حتى يطغى عددهم على عدد الأهالي الأصليين.

إن الاستعمار الفرنسي لم يتمكن من احتلال كل التراب الوطني بسهولة حتى بداية القرن الماضي، نظرا لاحتدام الصراع بين السكان الأصليين والجنود الفرنسيين وكذا لشساعة مساحة الجزائر. ونظرا لكل تلك العوامل – انتشار الأوبئة الفتاكة، المجاعات، المشادات العسكرية – كان نمو السكان الجزائريين متباطئا، فلم يتضاعف عددهم إلا بعد أكثر من نصف قرن أي حوالي 56 سنة وكان ذلك ما بين 1845 – 1901. كما يبينه الجدول التالي:

جدول رقم 2: تطور عدد السكان الجزائريين ما بين 1845 – 1901.

السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان	السنة	عدد السكان
1845	2 028 000	1861	2 737 000	1876	2 479 000	1891	3 577 000
1851	2 324 000	1866	2 656 000	1881	2 842 000	1896	3 781 000
1856	2 310 000	1872	2 132 000	1886	3 287 000	1901	4 089 000

Source: Rabah Brahimi. "Démographie, projections de population 1990 – 2010", in Collections Statistiques, N°50,Alger,SD, p. 5

(1) Mohamed Amir. L'histoire de la santé en Algérie, OPU, Alger, SD, P. 62

إن معدلي الولادات والوفيات كانا مرتفعين ومتقاربين كثيرا في معظم الفترات هذا ما فسر ثبات الزيادة الطبيعية وانخفاضها في بعض الأحيان إلى أقل من 1% في السنة. وفي بعض الأحيان يفوق معدل الوفيات معدل الولادات كما حدث سنة 1867، أين تعرضت مدينة الجزائر إلى زلزال عنيف في جانفي من نفس السنة وبعدها بفترة قصيرة انتشر وباء الكوليرا – في صائفة هذه السنة – وكذا الجفاف الذي أدى إلى المجاعة وانتشار داء التيفيس، اللذان حصدا بدورهما 000 522 نسمة وهو الفارق بين عدد السكان بين تعدادي 1866 – 1872 منها 000 300 ضحية بسبب مجاعة عام 1868[1]. ورغم هذه الأزمات نجد ارتفاع الإنجاب خاصة في الفترة الممتدة ما بين 1872 – 1876 أين قدر معدل الزيادة الطبيعية بـ 3,9%، وهي استراتيجية تلقائية من الأهالي للحد من الخسائر البشرية التي تعرض لها المجتمع.

إن المتتبع للإحصائيات السكانية في الجزائر في القرن الأول من الاحتلال الفرنسي، يلاحظ أن الجزائر مرت بمرحلة ركود وتبدأ من فترة الاحتلال لتنتهي سنة 1886. وهي أخطر مرحلة عرفتها الجزائر في نموها السكاني إذ ظل فيها عدد السكان يتجه نحو التدني باستمرار حتى بلغ 000 134 2 ساكن فقط بعدما كان 000 737 2 نسمة سنة 1861، أي أنها فقدت في هذه الفترة حوالي 000 603 ساكن. ويرجع السبب في ذلك إلى انتشار مختلف الأوبئة التي اجتاحت الجزائر خلال سنوات 1851، 1866، 1868، ثم الحروب والمشادات العسكرية ابتداء من عام 1849 حتى عام 1881 وأخيرا الانخفاض في المستوى الصحي العام لقلة المصالح الاستشفائية والأطباء... الخ.

ونشير هنا أنه رغم إصدار فرنسا لمرسوم 7 ديسمبر 1830 الذي نص على عدم السماح بدفن أي جثة في المقابر اليهودية والمسلمة والمسيحية بدون إذن من السلطات الفرنسية[2]. إلا أن تسجيلها والتصريح بها لم يمس شرائح كبيرة من السكان، لهذا تعاقبت عدة مراسيم وقوانين تنص على إجبارية تسجيل الولادات والوفيات بين الأهالي المسلمين خاصة. إلا أن نسبة التبليغ بقيت ضئيلة.

(1) Chambre de commerce. Statistiques générales de l'Algérie, Imprimerie Nationale, Paris, 1988, P. 62

(2) Dominique Tabutin. Mortalité infantile et juvénile en Algérie, travaux et documents cahier, N°77, PUF, Paris, 1976, P. 2

جدول رقم 3: التصريح بالوفيات في منطقة متيجة والساحل الجزائري في سنتي 1867 و1868.

منطقة متيجة				منطقة الساحل			
الأماكن	1867	1868	المجموع	الأماكن	1867	1868	المجموع
موزايا	264	93	357	زرالدة	59	5	64
واد العلايق	165	59	224	تيبازة	46	12	58
الحجوط	114	110	224	تفشون	37	49	86
اولاد يعيش	32	16	48	دويرة	247	152	399
سيدي موسى	44	35	79	الشراقة	40	13	53
حمر العين	37	12	49	محالمة	30	00	30
البليدة	342	210	552	المجموع	459	231	690
المجموع	998	535	1 533				

Source : Djillali Sari. Le désastre démographique, SNED, Alger, 1982, pp18-30

ومن هنا نلاحظ أن التسجيل كان جد ضعيفا رغم كبر الخسائر كما قلنا.

أما المرحلة الثانية من النمو السكاني في الجزائر التي تعرف بمرحلة النمو البطيء امتدت من 1886 إلى 1921 أين انتقل عدد السكان من 000 287 3 نسمة إلى 000 923 4 سنة 1921و نشير هنا أن الإدارة الفرنسية اختلفت فيها الطرق المتبعة لتقدير عدد السكان الجزائريين. ذلك أنه بين سنتي 1830 – 1880 كان الإحصاء يعتمد على معرفة عدد المساكن في تقدير عدد السكان، وكثيرا ما كانت تعتمد الحكومة الفرنسية في إحصاءاتها على قائد العشور. ومنه – فنتحفظ بذكر الأرقام السابقة – لأن قائد العشور كان يكتفي بالعدد الذي يدلي به رب الأسرة وفي كثير من الأحيان يكون هذا العدد

بعيدا عن الحقيقة خوفا من الضرائب أو الحسد، كذلك لأن الاستيلاء على الجزائر لم يتم مرة واحدة بل عبر فترات زمنية متباعدة فمنطقة القبائل سنة 1857، ورقلة والصحراء سنة 1872، وادي ميزاب سنة 1883، المنيعة 1891، الهقار سنة 1905 [1] وبالتالي فتلك التقديرات السكانية لم تكن تمس وتشمل كل السكان الجزائريين.

إن مطلع القرن العشرين كان مختلفا عما كان عليه السكان في القرن السابق حيث وصل عدد سكان الجزائر كما قلنا 4 ملايين نسمة وذلك بعدما سيطرت فرنسا على معظم القطر الوطني، وهذه الزيادة السكانية لا تعني التحسن في أوضاعهم المعيشية، بل ظلت معدلات الوفيات ما بين 35 – 40‰ بسبب الأمراض والمجاعات والحرب... الخ.ففي 1904 ارتفع معدل الوفيات نتيجة انتشار مرض حمى المستنقعات أو الملاريا Paludisme في صفوف الأوروبيين والجزائريين على السواء. [2] كذلك توفى خلال الحرب العالمية الأولى 1914 – 1917 حوالي 000 25 جزائري، هذه الخسارة نتجت عنها مشكلتان أولهما ضياع فئة اليد العاملة الجزائرية والثانية موت الرجال في الفئة التي تعرف نسبة كبيرة من المتزوجين 20 – 40 سنة وبالتالي انخفض مستوى الإنجاب في هذه الفترة كالآتي:

000 125 ولادة سنة 1913 ،000 111 ولادة سنة 1914، 000 97 سنة 1915،000 105 سنة 1916، 000 107 ولادة سنة 1917 و000 102 ولادة سنة 1919 [3]، هذه الوضعية أدت إلى زيادة سكانية بطيئة، وبالتالي تميز المجتمع الجزائري آنذاك بالنمط الديموغرافي الطبيعي في طوره الابتدائي من الدورة الديموغرافية أي ارتفاع كلا المعدلين الولادات والوفيات.

(1) محمد السويدي. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص. 68

(2) Dominique Tabutin. Op.cit, P. 13

(3) Yves Lacoste, et autres. l'Algérie passé et présent, éd sociales, Paris, 1960, P. 436

جدول رقم 4: تطور معدل الولادات والوفيات وكذا معدل النمو الديموغرافي بالجزائر من سنة 1900 –1960.

الفترة	معدل الولادات ‰	معدل الوفيات ‰	معدل الزيادة الطبيعية ‰
1905 – 1901	37,8	32,8	5,0
1910 - 1906	35,5	30,5	5,0
1915 – 1911	35,3	27,4	7,9
1920 - 1916	34,9	31,4	3,7
1925 – 1921	37,2	29,4	7,8
1930 – 1926	42,3	26,6	15,7
1935 – 1931	43,4	25,3	18,1
1940 – 1936	42,1	25,1	17,0
1945 – 1941	42,9	43,1	0,2 -
1950 – 1946	42,2	32,2	10
1955 – 1951	47,4	20,6	26,8
1960 – 1956	45,6	-	-

Source: Groupe Interministériel. Maîtrise de la croissance démographique Bilan, Alger, 1984, p9.

من الجدول نلاحظ أن معدل الولادات بلغ ذروته ما بين سنتي 1951–1955 حيث وصل 47,4‰ وهذا يعود لارتفاع معدل الزواج وكذا انخفاض سن المرأة والرجل على السواء عند أول زواج حيث انخفض المعدل من 20,8 سنة للإناث و25,8 سنة للذكور سنة 1948 إلى

19,6 سنة للإناث و25,2 سنة للذكور سنة 1954[1] وكذا إلى الانعدام الكلي لاستعمال وسائل منع الحمل الحديثة . وكذا إلى ارتفاع عدد النساء المتزوجات حيث بلغ عددهن في تعداد 1954 587 462 امرأة.[2]

أما فيما يخص معدل الوفيات فقد بلغ ذروته ما بين 1941 – 1945 أين وصل إلى 43,1‰ هذا ما يفسر الأوضاع التي سادت تلك الفترة، فالحرب العالمية الثانية قضت من جهة على العديد من الجزائريين الذين جندوا في صفوف الجيش الفرنسي ومن جهة أخرى حوادث 8 ماي 1945 التي راح ضحيتها 45 ألف شهيد، خاصة في منطقة قالمة، سطيف وخراطة أي 4/1 الوفيات السنوية التي سجلتها إحصاءات تلك السنة [1] وبالإضافة إلى ذلك نجد استمرار سوء الأوضاع المعيشية للمواطنين والتي انعكست على صحتهم فارتفعت معدلات الوفيات خلال ثلثي القرن الماضي خاصة مع الأزمة الاقتصادية لسنة 1921 والحرب التحريرية التي راح ضحيتها حوالي مليون ونصف مليون شهيد.

و أما عن معدل النمو الطبيعي فقد ظل هو الآخر منخفضا إلى غاية سنة 1925 وهذا لارتفاع معدلي– الولادات والوفيات – إلا أنه بعدها شرع في الارتفاع إلى غاية 1940 ليبلغ أقصاه ما بين سنتي 1931 – 1935 حين قدر بـ18,1‰ وهذا لارتفاع معدل الولادات والانخفاض النسبي لمعدل الوفيات ثم بعدها سجل نسبة سالبة. حيث بلغت -0,2% ما بين سنتي 1941 – 1945 وذلك لارتفاع معدل الوفيات عن معدل الولادات حيث بلغ 43,1‰ مقابل 42,9‰. أما من الناحية العددية للسكان فلقد تم التضاعف الثاني في عدد السكان الجزائريين خلال القرن الماضي في مدة تجاوزت الخمسين سنة إذ انتقل من 4 089 000 نسمة سنة 1901 إلى 8 745 000 نسمة سنة 1954.كما يبينه الجدول التالي:

(1) R. Brahimi,Z. Ouadah. "La nuptialité en Algérie à travers l'état matrimonial", in collections statistiques, N°50, ONS, Alger, SD, P. 28

(2) Ali Kouaouci. Famille femme et contraception, CENEAP, FNUAP, Alger, 1992, P. 19

(1) IBID, P.26

جدول رقم 5: تطور عدد السكان الجزائريين ما بين 1901 – 1954.

سنة التقدير	عدد السكان	سنة التقدير	عدد السكان
1901	4 089 000	1931	5 588 000
1911	4 741 000	1936	6 201 000
1921	4 923 000	1948	7 460 000
1926	5 151 000	1954	8 745 000

Source : Groupe Interministériel. Maîtrise de la croissance démographique Bilan, Alger, 1984, p10

إن هذا التباطؤ في الزيادة السكانية هو نتيجة حركة الوفيات القوية التي نتجت عن سوء التغذية، الأوبئة، المجاعات إلى جانب الثورات والانتفاضات حيث تعرضت القرى والأحياء السكنية إلى تخريب شبه كلي فتحطمت بذلك البنية التحتية للاقتصاد الجزائري، وكذا القتل الجماعي المنظم من طرف السلطات الفرنسية وتواصل اتباعها لسياسة التهجير ونهب الأراضي الخصبة. فلقد بلغت المساحة المستولى عليها في 1954 حوالي 3 028 000 هكتار بعدما كانت 1 912 000 هكتار سنة 1900 مما أدى إلى انخفاض المنتوج الزراعي بنسبة 20% ما بين 1880 – 1950 [1]، ولهذا السبب ازدادت البطالة عند الريفيين فهاجر حوالي 500 000 إلى مليون فرد عام 1950 إلى المدن الكبرى بحثا عن العمل [2] نتيجة ضعف المنتوج الزراعي في المساحة الفقيرة المتروكة لهم من طرف الفرنسيين.

(1) Benjamin Stora. Op.cit, P. 48

(2) Bernard Droz. Op.cit, P. 44

جدول رقم 6: وضعية العامل الجزائري في الزراعة ما بين 1930 إلى 1954.

وضعية العامل	1930	1938	1948	1954
مالك للأرض	617 544	549 395	537 800	494 500
مزارع	630 600	713 000	132 900	60 400
خماس	50 771	55 600	-	-
عامل دائم	428 032	462 467	448 100	1 088 000
عامل يومي	428 032	46 247	448 100	357 500
عامل موسمي	-	-	35 800	77 100

Source: Benjamin Stora. Histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954, La découverte, Paris, 1991, P49

نلاحظ من الجدول تناقص عدد الفلاحين المالكين للأراضي في حين تزايد عدد الفلاحين العاملين الدائمين في أراضي الكلون، مما ترتب عنه تدني المستوى المعيشي للفلاح وعائلته فانتقلوا إلى العواصم حيث ضمت كل من وهران، الجزائر وقسنطينة 13% من السكان الجزائريين في سنة 1950، والجزائر العاصمة فقط انتقل بها عدد السكان من 800 4 ساكن سنة 1939 إلى 000 125 ساكن سنة 1953 (3) وكانت القصبة لوحدها تضم 000 70 ساكن.

(3) Benjamin Stora. Opcit, P. 102

جدول رقم 7: تطور عدد السكان الحضريين والريفيين ما بين1886 – 1954.

السنة	عدد السكان		
	الحضريين	الريفيين	المجموع
1886	523 441	3 228 606	3 752 037
1906	783 090	3 937 884	4 720 974
1926	1 100 143	4 344 218	5 444 361
1931	1 147 731	4440269	5 588 000
1936	1 431 513	5 078 125	6 509 638
1948	1 838 152	5 948 939	7 787 091
1954	2 157 935	6 456 766	8 614 701

Source: ONS. "Recensement général de la population et de l'habitat 1998", in collections statistiques, N°80, Alger, SD, p. 11

بما أن أغلب الفلاحين، للأسباب المذكورة آنفا، هاجروا إلى العواصم فمنهم من اشتغل عند الاوروبيون في المنازل أو في المزارع ومنهم من اشتغل في الإدارة.فتعداد 1854 بين أنه من بين 120 65 عامل في الإدارة والتجارة الأوروبية كان من بينهم 190 15 جزائريا، كما تبين من هذا التعداد وجود 000 200 بطال [1] – باستثناء البطالين في البيوت القزديرية - .

فالجزائر عام 1954 كان سكانها حوالي 701 614 8 نسمة. وكان العائد السنوي للفرد الواحد لا يتجاوز 000 20 فرنك فرنسي قديم، أغلبيتهم فلاحون وأميون حيث بلغت نسبة التمدرس 10%[2] آنذاك. فمن بين 000 465 تلميذ كان مقيدا بالمدارس سنة 1955 سجل فقط

(1) IBID, P. 104

[2] جغلول عبد القادر. تاريخ الجزائر الحديث، تر فيصل عباس ،دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، السنة غير مذكورة، ص. 220.

000 322 جزائري، أما عن الطلبة المسلمين الجزائريين المسجلين بجامعة الجزائر سنة 1959 فكان عددهم جد محتشم 814 طالب من مجموع 553 6 منهم 113 طالبة. (3)

رغم كل هذه المشاكل الاجتماعية والاقتصادية كما رأينا إلا أن الأزواج الجزائريين واصلوا الإنجاب كبرهان عن كيانهم وانتمائهم الجزائري. هذا ما فسر ارتفاع معدل الولادات إلى أكثر من 40‰ رغم التجنيد الإجباري في كلتا الحربين العالميتين I وII، وكذا هجرة الجزائريين إلى فرنسا لسد النقص المتواجد في مصانعها خاصة في سنة 1949. حيث قدمت للشباب الجزائري عدة حوافز مالية لمن يريد أن يهاجر ويكتسب الجنسية الفرنسية.

إلا أن هذا الارتفاع في معدل الولادات قابله هو الآخر ارتفاع في معدل وفيات الأطفال الرضع والطفولة وهذا لانخفاض المستوى المعيشي والصحي للأسر، حيث بلغ أقصاه مع بداية القرن الماضي ليصل 115‰ ما بين 1901 – 1904 ثم انخفض تدريجيا ليعود للارتفاع في فترة الحرب التحريرية حيث وصل ما بين 1955 – 1959 إلى حوالي 103‰.

جدول رقم 8 : تطور عدد الولادات، الوفيات ووفيات الأطفال الرضع ومعدلهم ما بين 1901 – 1959.

الفترة	عدد الولادات الحية	عدد الوفيات	عدد وفيات الأطفال	معدل وفيات الأطفال الرضع	المعدل المصحح للوفيات المزيفة❖
1904 -1901	124 400	92 400	14 300	115	124
1909 -1905	123 600	94 000	13 300	108	116
1914 -1910	129 800	87 100	11 700	90	98
1919 -1915	110 200	106 500	-	-	-
1924 -1920	118 500	101 000	11 200	95	104
1929 -1925	149 700	96 200	13 400	90	96
1934 -1930	191 000	95 800	16 700	87	94

(3) Abdelhani Guend. Op.cit, P. 7

الفترة	عدد الولادات الحية	عدد الوفيات	عدد وفيات الأطفال	معدل وفيات الأطفال الرضع	المعدل المصحح للوفيات المزيفة❖
1935 -1939	216 100	104 400	18 300	85	89
1940 -1944	295 400	172 300	27 800	94	97
1945 -1949	308 800	180 500	30 700	99	105
1950 -1954	335 400	111 200	28 700	86	92
1955 -1959	332 300	121 500	34 200	103	112

المعدل المصحح للوفيات المزيفة هو عبارة عن معدل يحسب لاستخراج نسبة الولادات الحية والتي سجلت كولادات ميتة.

Source: Dominique Tabutin. Mortalité infantile et juvénile en Algérie, travaux et documents cahier, N°77, PUF, Paris, 1976, pp. 10 -23

إن هذا الارتفاع في عدد الوفيات راجع إلى تدهور الأوضاع الصحية، حيث كانت تقتصر الخدمات الصحية على تلبية احتياجات المعمرين، إذ كانت المستشفيات متواجدة في أماكن تمركزهم، أما التمريض فكان مؤمنا من طرف قسم الخدمات الاجتماعية للجيش الفرنسي في المناطق الخاضعة للمراقبة، بينما كان الجزائريون يلبون حاجاتهم الطبية عن طريق الطب التقليدي في الغالب.

وعن الموارد البشرية للقطاع الصحي فكانت هي الأخرى ناقصة حيث سجل في سنة 1962 طبيب لكل 600 16 ساكن وممرض لكل 000 40 ساكن. أما المنشآت القاعدية فقد كانت تحتوي على 156 مؤسسة صحية منها 143 مستشفى خاص بالأمراض الصدرية، مستشفيان للأمراض العقلية، مركز واحد لمكافحة مرض السرطان، 13 عيادة للتوليد، 188 مركز للعلاج، 130 مستوصف ومركز واحد لمكافحة السل. [1].

(2) Mustapha Khiati. Quelle santé pour les algériens ?, Maghreb relation, Alger, 1990, P. 4

و قبل هذا التاريخ وبالذات في 1954.12.31 أحصت الإدارة الفرنسية طاقمها وهيكلها الطبي وكانت نتائجه 1646 طبيب، 678 قابلة، 484 طبيب أسنان، 654 صيدلي، 12 مستشفى عسكري، 118 مستشفى عمومي، 16 مستشفى خاص، 26 مستوصف لعلاج مرض السل، 20 مركز لعلاج التراكوما، 120 مركزا لعلاج مرض الزهري [2].

فهذه الإحصائيات تبين لنا قلة الموارد البشرية والمادية للجهاز الصحي بالجزائر في النصف الأول من القرن الماضي، مما انعكس سلبا على صحة التوربين والأهالي خاصة.

فارتفعت نسبة الإصابة بالأمراض في أوساط المعمرين والأهالي،إذ بلغ مثلا عدد المصابين بمرض السل La Tuberculose في مدينة الجزائر ما بين 1913 – 1925، 90مسلم لكل 10 000 ساكن وفي أوساط المعمرين 21 أوروبي لكل 10 000 ساكن.[3]

من كل ما سبق ذكره نستنتج أن المسار الديمغرافي المتذبذب في الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي كانت أسبابه واضحة فسياسة الاستعمار شجعت الأهالي بطريقة غير مباشرة على زيادة الإنجاب إلا أن هذه الزيادة لم تر النور في الواقع لارتفاع معدلات الوفيات باختلافها ،بسبب تدني الأوضاع الصحية والمعيشية للسكان.

قائمة المراجع:

1- جغلول عبد القادر. تاريخ الجزائر الحديث،تر فيصل عباس ،دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، السنة غير مذكورة

2- السويدي محمد. مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

3- Mohamed. L'histoire de la santé en Algérie, OPU, Alger, SD. . Amir

4-Brahimi Rabah."Démographie, projections de population 1990 – 2010",in Collections Statistiques, N°50,Alger,SD.

(3) Mohamed Amir. Op.cit, PP. 78 -79

(4) IBID, P. 89

5-Brahimi R., Ouadah Z.. "La nuptialité en Algérie à travers l'état matrimonial", in collections statistiques, N°50, ONS, Alger, SD.

6- Chambre de commerce. Statistiques générales de l'Algérie, imprimerie nationale, Paris, 1988.

7 - Guend Abdelhani. La population de l'Algérie, évolution passée et perspectives d'avenir, OPU, Alger, 1994.

8- Groupe Interministériel. Maîtrise de la croissance démographique Bilan, Alger, 1984.

9- Kouaouci Ali. Famille femme et contraception, CENEAP, FNUAP, Alger, 1992.

10- Khiati Mustapha. Quelle santé pour les algériens ?, Maghreb relation, Alger, 1990.

11-Lacoste Yves, et autres. L'Algérie passé et présent, éd sociales, Paris, 1960.

12- ONS. Collection statistique, N°18, Alger, Mars 1988.

13- ONS. "Recensement général de la population et de l'habitat 1998", in collections statistiques, N°80, Alger,SD.

14- Stora Benjamin. Histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954, La Découverte, Paris, 1991.

15- Sari Djillali. Le désastre démographique, SNED, Alger, 1982.

16- Tabutin Dominique. Mortalité infantile et juvénile en Algérie, travaux et documents cahier, N°77, PUF, Paris, 1976.

17- Le temps de l'Algérie Française, in l'histoire, N°140, Société d'édition Scientifique, Paris, janvier1991.

موقف الجامعيين من تأثير التعليم الجامعي
على التحديث الاجتماعي

أ/ جاب الله زهية- قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر

ملخص

يشهد عالمنا المعاصر جملة من التغيرات الاجتماعية على عدة أصعدة سياسية، اقتصادية وثقافية وغيرها، وهي ضرورة أملتها الحركة العالمية المستمرة لمسايرة متطلبات العصر، وإذا علمنا أن التفاعل والاحتكاك المتواصل بين مختلف الأفراد والعديد من المشاريع في مختلف الميادين تتوقف على العمل المشترك بين مختلف الدول، فإن هذه العوامل لها دور فعال في دفع كل الأعضاء الفاعلين لتخطيط وتنفيذ مشاريع التغيير بما فيها التحديثية والعصرية لمواكبة التطور الذي عرفه العصر في كل الميادين. ومن هذه المشاريع نشر وتطوير التعليم الجامعي مع فتح تخصصات جديدة بشكل مستمر لتلبية حاجات المجتمع ولتوفير يد عاملة مؤهلة يوكل لها مهمة المشاركة في هذه العملية التحديثية .

وإذا كانت أغلبية الدراسات العلمية، نظرية كانت أو ميدانية، قد وضحت العلاقة بين نشر التعليم في كل المستويات وتحديث المجتمع، فإننا سنحاول في هذا المقال عرض مواقف بعض طلبة الدراسات العليا بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية من مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع .

الكلمات المفتاحية:

التحديث، التعليم الجامعي، تحديث المجتمع، التحديث المادي، تحديث التعليم

تمهيد

يعتبر موضوع التغيير الاجتماعي بمختلف ابعاده المعرفية والسلوكية من المواضيع التي لقت اهتماما كبيرا من طرف المفكرين عبر مختلف العصور قصد توفير ظروف أفضل للحياة في مختلف المجالات، بدأ بالسيطرة على الطبيعة قصد استغلالها وتسخيرها لصالح الإنسان، إلى استغلال العلم والتكنولوجيا لمواجهة متطلبات العصر، وإذا كان للفكر الميتافيزيقي واللاهوتي دور في التغيير الاجتماعي في مرحلة معينة من التاريخ، فإن للممارسة العلمية دورا مهما في التغيير بصفة عامة وفي التحديث بصفة خاصة في العصر الحديث، بإدخال منتجات التطور العلمي والتكنولوجي في كل القطاعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ....

لكن ما المقصود بالتحديث ؟

لقد تعددت التعاريف التي توضح معنى التحديث حسب مجالات التخصص وحسب مظاهره ومتغيراته فهناك من يركز على النمو الاقتصادي، أو على التعديلات السياسية لمسايرة التغيرات المحلية والعالمية، كما يوجد من يركز على التطور العلمي والتكنولوجي وانتشارهما في المجتمع، إلا أنها تتقاسم التقدم والتطور والعصرنة كأهم مظهر من مظاهر التحديث.و من التعاريف التي خصت هذا المفهوم نجد تعريف André Aknoun et Pierre Ansart, اللذين اعتبرا التحديث أحد أشكال الحضارة، وهو أحد نماذج المجتمعات التي تتحدد بما يجب أن تضع قطيعة معه: التقليد بمعنى كل الأشكال الأخرى من المجتمعات . فهو التشكيلة الثقافية التي ظهرت في أوروبا في القرن السادس عشر والتي بدأت في التشكل منذ أواخر القرن الرابع عشر، والتي يمكن تحديد مجالها في الغرب وفي عصر النهضة، فهو شكل من وجود اجتماعي نحن مستمرون فيه،و يسعى للتعميم والانتشار عالميا (Aknoun,A et Ansart,P . 2006).

حاول د. مصطفى التير أيضا تعريف التحديث في قوله إنه "يستخدم كثيرون من علماء الاجتماع مفهوم التحديث للإشارة إلى العملية التي عن طريقها يتحول المجتمع من حالة تقليدية إلى حالة المجتمع الحديث وهي عملية يتحول من خلالها المجتمع من حالة ما قبل المجتمع الصناعي الذي تسود فيه الحرف التقليدية إلى مجتمع للصناعة فيه

مكانة عالية ... لقد أخذت الحداثة تتشكل كنتيجة مباشرة لتكاثر الأفكار الجديدة وتصارع مختلف الفلسفات ووجهات النظر وحركات التمرد على الأوضاع القائمة، إلى أن تبلور ما أصبح يعرف بفلسفة التنوير التي قادت التطبيقات العملية لبعض جوانبها إلى التحديث المادي"(التير،م. بدون تاريخ) . فركيزة التحديث حسب الباحث هي فلسفة التنوير التي مجدت الحرية الفردية والعقل الخالص والدعوة للتغيير، الأمر الذي فتح المجال لفصل الوظائف التربوية عن الكنيسة ونقلها للدولة مما أدى إلى تطور العلم والتقدم التكنولوجي الذي ساهم في تطوير الآلات بما فيه النشاط الصناعي الذي أحدث بدوره تغييرا في البناء الاجتماعي، الذي انتقل من مجتمع تقليدي بسيط إلى مجتمع مركب يمتاز بزيادة التخصص والتمركز والنمو السكاني الأمر الذي صاحبه قيم ومعالم حضرية حديثة تعتبر جوهر التحديث .

أما د. سناء الخولي فقد ركزت في محاولتها لتعريف التحديث على العناصر التي ترتكز عليها هذه الظاهرة التي تختلف باختلاف ميادين بحث الباحثين، ففي ميدان علم الاجتماع فهي ترى أن علماء الاجتماع والأنتروبولوجيا "يركزون اهتمامهم على التمايزات التي تحدث في البناءات الاجتماعية مثل ظهور مهن جديدة أو أنماط جديدة من المجتمعات المحلية، ويدرس علماء الاجتماع أيضا صور التمزق في عملية التحديث مثل التوترات المتصاعدة والأمراض العقلية والطلاق وانحراف الأحداث، والصراع العقائدي والطبقي " (الخولي،س. 1993).

إذا في محاولتنا لتقديم تعريف شامل للتحديث لم نتوصل لتفسير يعكس أو يعطي صورة شاملة لهذا المفهوم لكن رغم ذلك توصلنا إلى ركائز التحديث التي ساهمت في نقل المجتمع من بسيط إلى مركب ومن تقليدي إلى حضري حديث، أهمها التطور العلمي والتقني الذي يعتبر أساس التقدم الصناعي والاقتصادي الذي ساهم بدوره في تحديث المجتمع. ومن خلال الدراسة التالية سنحاول الكشف عن موقف طلبة الدراسات العليا في كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر من مساهمة التعليم الجامعي في التحديث الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

نظريات التحديث

منذ ظهور علم الاجتماع كعلم مستقل فإن العديد من الباحثين السوسيولوجيين قد اهتموا بالتحديث الاجتماعي وبدعائم تحقيقه، وكل واحد يحدد مؤشرا معينا ويعتبره مؤسسا للتحديث فأوجست كونت يعتبر العلم مؤسسا جوهريا للتحديث، وسان سيمون يركز على الصناعة، أما كارل ماركس فيركز على الرأسمالية، وألكسيس توكفيل يركز على العدالة الاجتماعية والديموقراطية، في حين ماكس فيبر يركز على العقلانية التي تعتبر المؤشر الأساسي للتحديث. ومنه فكل وجهات النظر السابقة حول التحديث والمدعمة ببراهين هي نظريات سوسيولوجية، وكل نظرية سوسيولوجية يجب أن تدعم بالشكل الذي يسمح لها بإدراك وتحليل التحديث (Boudon,R , Besnard,P et autres. 2005).

ومن أنصار نظرية التحديث الأولى D.LEARNER الذي قام بدراسة نشرت في كتاب (المجتمع التقليدي) سنة 1958 وهي من أشهر الدراسات الأولى للتحديث، قام خلالها بفحص التحديث في دول كثيرة في الشرق الأوسط، ويقول: "التحديث يأتي كنتيجة طبيعية لتغيرات تحدث ليس على مستوى المؤسسات فقط وإنما على مستوى الأفراد "(هاريسون، دفيد.1998). بالحصول على الإمكانيات المادية والمعرفية التي تساعدهم على التكيف مع متطلبات الحياة العصرية والمساهمة في تخطيط وتنفيذ المشاريع التي تساهم في عملية التحديث .

ROSTOW هو الآخر من أنصار هذه النظرية وهو مؤرخ ومهتم بموضوع التغير الاجتماعي، يقول "رغم تطور بعض الصناعات الحديثة تبقى البنية الاجتماعية التقليدية وتبقى معها أساليب الإنتاج القديمة وفي الحقيقة يكون لدينا مجتمع ثنائي "(هاريسون، د.1998). والدراسات التاريخية توضح ذلك فالانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع عصري حديث لا يتم دفعة واحدة ولا يتم التغيير بشكل جذري ولا ينطبق ذلك على كل المجتمعات إذ يرتبط بالقاعدة الثقافية والقيم السائدة في المجتمع، التي لها تأثير على تحديد موقف أفراد المجتمع من التغير إلى جانب نظمها الاقتصادية والسياسية ومستواها المادي والعلمي فضلا عن طبيعة علاقاتها بالدول الخارجية، كل هذه العوامل وغيرها تجعل التحديث يتم بشكل تدريجي من تقليدي إلى تعايش التقليدي

بالحديث إلى سيطرة الحداثة على مختلف النظم الاجتماعية، رغم بقاء بعض المعالم التقليدية لرفض الأفراد تغييرها باعتبارها تمثل، في بعض الحالات، أحد دعائم شخصيتهم التاريخية والثقافية ... و غيرها .

ومن أهم أنصار هذه النظرية تالكوت بارسونز الذي إهتم بدراسة التطور الاجتماعي، فحسب الباحث، فإنه لوجود أي مجتمع يجب توفر عناصر أساسية تتمثل في القرابة، التكنولوجيا، اللغة والدين، ومع التقدم والتطور الاجتماعي يتحول المجتمع من مظهره البسيط إلى الأكثر حجما، بناء وتنظيما، الضرورة الاجتماعية والمرحلة التي تم التوصل إليها تستدعي عناصر أخرى وهي "وحدات عالمية أخرى مثل التنظيم البيروقراطي، والنقد وسوق العمل، تساعد على زيادة قدرة المجتمعات على التكيف والتي ربما مع مرور الزمن يمكن أن تؤدي إلى الانتقال إلى طور الحداثة "(هاريسون،د.1998)

فإذا كان نظام القرابة قد ساهم في نشأة التجمعات البشرية وفي تنظيم العلاقات بين الأفراد في المجتمعات التقليدية، فإن التنظيم البيروقراطي مهم للخروج من قيد النظام القرابي والوراثي، وبالتالي ليفتح المجال لعوامل أخرى كالكفاءة في الحصول على مكانة ودور اجتماعي . وإذا كانت اللغة والدين من العوامل الأولى التي ساهمت في التواصل وتنظيم العلاقات بين الأفراد في المجتمع التقليدي، فإن للنقد ولسوق العمل وللتبادل التجاري وتوسع النشاط الاقتصادي وتحديثه، بالاعتماد على نظريات علمية حديثة ووسائل تقنية عصرية، أهمَّ ميزة في المجتمع الحديث.

في الأخير يمكن القول إن أهم ما توصل إليه تالكوت بارسونز يظهر في قوله "بأن التحديث يتضمن انتقالا من الوراثة إلى التحصيل، ومن الخصوصية إلى العمومية ومن الانتشارية إلى التخصصية" (هاريسون،د.1998) .

اهتم أيضا بمظاهر التحديث باحثون معاصرون، ف P.Bourdieu ركز اهتمامه على نوع الهيمنة في المجتمع المستحدث التي انتقلت من رأس مال رمزي تم إنتاجه باتفاق الجماعة إلى رأس مال رمزي موضوعي ممثل ومضمون من طرف الدولة (Martuccelli,D.1999) . أما N.Luhman فيفسر مظاهر التحديث وفق الأنساق الاجتماعية المعقدة والمركبة التي تراكمت في المجتمعات المستحدثة، فهو يرى أن المجتمع مكون من أنساق فرعية ومستقلة وتابعة لبعضها

البعض في آن واحد(Calbin,P, et, Dortier,J.F.2004) . وبالتالي فالمرجعية النظرية لتصور N.Luhman حول التحديث هي نظرية الأنساق، وذلك لتركيز اهتمامه على أحد أهم مظاهر المجتمعات المستحدثة وهي تمايز الأنساق الاجتماعية وفروعها في التركيبة والوظائف والأنظمة الداخلية التي تنشط في إطار النظام العام الذي يسعى إلى تحقيق التبادل والتكامل بين مختلف الأنساق. Norbert Elias أعطى أهمية كبيرة للعوامل الشخصية للأفراد وعلاقتها بمظاهر التحديث، فهو يقول إنه بتحكمنا في أنفسنا يمكننا أن نتوصل إلى معرفة و إيجاد عوامل في ذاتنا تسمح لنا بالتحكم في الأحداث التي تبدو لنا غير قادرة على التحكم (Martuccelli,D.1999) . فإلى جانب اهتمام Elias بدور المؤسسات الحكومية الرسمية في التحكم في المظاهر السلبية المنتشرة في المجتمع المستحدث، فإنه يلفت الانتباه لدور الأفراد في تحقيق ذلك انطلاقا من إرادتهم الداخلية في المراقبة والتحكم في سلوكهم وفي ردود أفعالهم . Jurgen Habermas هو الآخر قد اهتم بخصائص التحديث ويرى أن الميزة الوحيدة للعالم المعيش أنه يتطور بتطور العقلنة والتمايز الذي يتميز به التحديث. (Martuccelli,D.1999)

انطلاقا من طرح، A. Aknoun et P. Ansart يمكن تلخيص خصائص التحديث في كونه يطمح لوضع قطيعة مع كل ما هو تقليدي، كما أن عصر التحديث هو عصر الفردانية، ويؤكد التحديث على القيم المادية، ويجعل من الاقتصاد معيار كل شيئ في العالم. فالمساواة التي هي مساواة رمزية وسياسية، أصبحت مطلبا لتحقيق المساواة الفعلية في المجتمع المدني. ومنه فعدم المساواة المادية الموجودة، هي مظهر لعدم تحقيق العدالة وانتهاك الميثاق الاجتماعي، غير أن عدم المساواة، يكون له صبغة شرعية في حالة الاختلاف الراجع للاستحقاق أو العمل. (Aknoun,A et Ansart,p. 2006)

مما سبق يمكن القول إن التحديث الصناعي الذي صاحب الثورة الصناعية والعلمية، أحدث مجتمعا حضريا معقدا في البناء والتركيبة متميزا بالكثافة السكانية والتمركز في مناطق تمركز النشاطات الصناعية أو السياسية أو الثقافية ...و غيرها، هذا التمركز والتخصص جلب فئات ذات اهتمامات متعددة حسب اختصاصاتهم، وفتح لها المجال للمشاركة في التخطيط للتغيير أو في التنفيذ. وإذا كان للتحديث أثار إيجابية كالتقدم العلمي والتقني والاقتصادي .... أو على مستوى تحضر وعي الأفراد بإدراكهم

بضرورة مسايرة عصرنة العصر بالإعداد العلمي للتكيف مع مختلف المواقف التي تواجههم في المجتمع .

الإشكالية

إن المهتمين بالبحث في مجال التحديث يتفقون على أن التحديث المعرفي يؤدي إلى التحديث المادي، هذا ما دفع بالدول السائرة في طريق النمو إلى إعطاء أولوية لتحديث التعليم في مخططاتها التنموية، وذلك لما للتعيلم من تأثير على إعداد الأفراد إعدادا علميا ذا اتجاهات عصرية، ومن جهة أخرى قصد تكوينهم وإعدادهم لتولي مناصب تساهم في تنمية البلاد في كل الميادين الاقتصادية، السياسية، العلمية ... لهذا "فإن التعليم ليس مجرد مهارات فحسب، وإنما هو صقل للشخصية الإنسانية في أهم مراحلها وأطوارها ولذا فإن توفر مناهج نقدية وتوفير مناخ ثقافي متعدد التيارات ومتنوعة الأفكار لا يأتي من قبيل الترف بقدر ما هو ضرورة موضوعية يستلزمها نجاح هذا النظام التعليمي في خلق شخصية إنسانية متكاملة "(بدران،ش.2003).

وإذا اعتبرنا التعليم الجامعي يساهم في تحديث سلوك وتصورات الأفراد بإكسابهم ثقافة علمية تساير التطور التكنولوجي والتصور الموضوعي الذي ساد المجتمعات المستحدثة، فهل تساهم الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع الجزائري ؟ وإذا كانت القيم العلمية والقيم المادية هي السائدة في المجتمعات المستحدثة فهل يساهم التعليم الجامعي في نشر قيم المجتمع المستحدث ؟

فروض الدراسة :

1- يساهم التعليم الجامعي الجزائري في التحديث الاجتماعي.

2- يساهم التعليم الجامعي الجزائري في نشر نظم وقيم المجتمعات المستحدثة.

عينة الدراسة :

تتكون عينة دراستنا من 64 طالبا متحصلين على شهادة الليسانس ومسجلين لتحضير شهادات ما بعد التدرج (ماجستيير وشهادات ما بعد التدرج المتخصص) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر . وقد شملت عينتنا كلا الجنسين وذوي أعمار

تتراوح بين 23 و40 سنة. وقد قمنا ببحث ميداني استكشافي في فيفري 2007 لمعرفة مدى مساهمة الجامعة في تحديث المجتمع وأفراده باعتبار انتشار التعليم وتطويره أساس التحديث، وأحد أهم مظاهره وشرطا أساسيا لنجاحه، حسب ما وضحه الباحثون المهتمون بمجال البحث في ظاهرة التحديث . وبعد استجوابهم باستعمال تقنية الاستمارة قمنا بتفريغ وتبويب البيانات ومنه تحصلنا على النتائج التالية :

عرض وتحليل نتائج الدراسة :

ا /عرض نتائج الفرضية الأولى : التي تتعلق بمدى مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع، بتطويره بإدخال مظاهر العصرنة التجهيزية، البنائية، التنظيمية، المعرفية، والتكنولوجية وغيرها عليه.

وعن موقف المبحوثين من مدى مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع، يظهر في الجداول التالية :

جدول رقم 1 : موقف المبحوثين من مدى مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع

الجنس / الموقف	نعم		لا		المجموع	
ذكور	20	٪50	20	٪50	40	٪100
إناث	11	٪45.83	13	٪54.16	24	٪100
المجموع	31	٪48.43	33	٪51.56	64	٪100

من هذه المعطيات يتبين أن نصف عدد المبحوثين تقريبا لهم رأي سلبي تجاه مساهمة الجامعة في تحديث المجتمع، ويرجع ذلك في الأساس لتعدد المؤسسات والتنظيمات ذات الطابع الاقتصادي، السياسي،الاجتماعي، الثقافي وغيرها، التي أصبحت تنافس التعليم الجامعي في توفير قاعدة متينة للتحديث والتنمية . أما سبب هذا الموقف السلبي حسب المبحوثين فيرجع لعدة اعتبارات، أهمها **عدم** فعالية الاتصال بين الجامعة والمجتمع وابتعادها عن أدائها لدورها وفقدانها لمصداقيتها، حسب ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم2 : سبب رفض المبحوثين لمساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع

سبب الرفض	ك	٪
دورها مهمش في المجتمع	4	12.12
ابتعادها عن دورها وفقدانها لمصداقيتها	10	30.30
عدم فعالية الاتصال بين الجامعة والمجتمع	14	42.42
دون إجابة	5	15.15
المجموع	33	99.99

أما بالنسبة للمبحوثين الذين يوافقون على مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع والذين قدرت نسبتهم بـ48.43 ٪ من مجموع المبحوثين فيرجعون ذلك إلى ما يلي:

جدول رقم3 : سبب تأييد المبحوثين لمساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع

سبب التأييد	ك	٪
تكوين إطارات	10	32.25
مصدر وجيه لبناء المجتمع وتثقيف أفراده	07	22.58
من خلال البحوث والدراسات العلمية الموجهة للمجتمع	08	25.81
دون إجابة	06	19.35
المجموع	31	99.99

فتكوين الإطارات قد ضم أكبر نسبة من إجابات المبحوثين باعتبار لا تحديث دون وجود فئة مؤهلة علميا يوكل لها مهمة التخطيط والتسيير وتنفيذ مشاريع التنمية في كل المجالات، كما يدعم هذا الموقف نسبة معتبرة من المبحوثين الذين أرجعوا سبب مساهمة الجامعة في التحديث إلى اعتبارها مصدرا وجيها لبناء المجتمع وتثقيفه، كما لم يغفل المبحوثون أهمية الدراسات والبحوث العلمية التي تساهم في إعطاء صورة موضوعية لواقعنا المعيش والتي تسمح بتدعيم أو تغيير ما يجب أن يغير وفق خطط علمية محكمة.

عن مدى مساهمة الجامعة في تحديث المستوى المادي للمجتمع من خلال نشر التعليم والتكنولوجيا التي تتطلبها تنمية المجتمع في كل الميادين بما فيها الميدان الإقتصادي وميدان الموارد البشرية، فإن معطيات الجدول التالي توضح ما يلي :

جدول رقم 4: موقف المبحوثين من مدى مساهمة الجامعة في تحديث المستوى المادي للمجتمع

الموقف / الجنس	نعم		لا		المجموع	
ذكور	12	٪30	28	٪70	40	٪100
إناث	8	٪33.33	16	٪66.66	24	٪100
المجموع	20	٪31.25	44	٪68.75	64	٪100

بالرغم من وجود نسبة معتبرة من المبحوثين الذين يوافقون على مساهمة الجامعة في تحديث المستوى المادي للمجتمع باعتبار التعليم استثمارا طويل المدى، بإعداد إطارات ترجع بالفائدة على الاقتصاد الوطني ككل من خلال البحوث التي تقوم بها أو بمساهمتها في التخطيط والتسيير ....إلا أن معطيات الجدول توضح أن معظم إجابات المبحوثين التي تمثل ٪68.75 من الإجابات ترى أن الجامعة ليس لها مردود مادي على المجتمع، لأن ظروف المجتمع الجزائري فتحت المجال لغير المتعلمين ذوي مصادر دخل معتبرة الاستثمار في مجالات اقتصادية تضمن التنمية المادية للفرد وللمجتمع . وعن سبب عدم قناعة أغلبية المبحوثين بمساهمة الجامعة في التحديث المادي للمجتمع يظهر في الجدول التالي :

جدول رقم 5 : سبب عدم مساهمة الجامعة في التحديث المادي للمجتمع

السبب	ك	٪
الجامعة والمستوى المادي خطان متوازيان	6	13.63
زيادة نسب البطالة	9	20.45
تدني المستوى المادي للمجتمع	9	20.45
لا يوجد علاقة بين البحث وتطبيقه في الحياة المهنية واليومية	12	27.27
دون إجابة	8	18.18
المجموع	44	99.98

أكبر نسبة من إجابات المبحوثين الرافضين لمساهمة الجامعة في تحديث المستوى المادي قد تمركزت في عدم وجود علاقة بين معطيات الجامعة وتطبيقاتها في الحياة المهنية واليومية، كما أن إرتفاع نسب البطالة في أوساط خريجي الجامعة يعتبر تبذيرا لرأس مال مادي استثمر في تكوين الجامعيين كان من الممكن أن يوكل لهم وظائف تعود على المجتمع بعائد إيجابي يساهم في تحديثه.

ب/عرض نتائج الفرضية الثانية : التي تنص على مساهمة الجامعة في نشر نظم وقيم المجتمع الحديث (والتي تتمثل في قيم حديثة كالفردانية والتخصص، وتراكم رؤوس الأموال، و سوق العمل، و تنظيمات ومؤسسات حديثة ذات وظائف جديدة أدرجتها الضرورة الاجتماعية لمسايرة العصر والتغيرات المستمرة)، علما أن مفهوم القيم حسب د.ط.بوشلوش هو عبارة عن تصورات ومفاهيم ديناميكية صريحة أو ضمنية تميز الفرد أو الجماعة وتحدد ما هو مرغوب فيه اجتماعيا، كما تؤثر في اختيار الأهداف والأساليب والوسائل الخاصة بالفعل، وتتجسد مظاهرها في اتجاهات الافراد والجماعات وأنماطهم السلوكية ومثلهم ومعتقداتهم ومعاييرهم ورموزهم الاجتماعية، وتفصح القيم عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة، وهي ترتبط ببقية مكونات البناء الاجتماعي تؤثر فيها وتتأثر بها"(بوشلوش، ط.2008) . عن موقف المبحوثين من مساهمة الجامعة الجزائرية في نشر نظم وقيم المجتمع الحديث يظهر في الجدول التالي:

جدول رقم 6 : موقف المبحوثين من مدى مساهمة الجامعة في نشر نظم وقيم المجتمع الحديث

الجنس / الموقف	نعم		لا		المجموع	
ذكور	14	٪35	26	٪65	40	٪100
إناث	9	٪37.5	15	٪62.5	24	٪100
المجموع	23	٪35.93	41	٪64.06	64	٪100

إن معطيات الجدول توضح أن الاتجاه العام للمبحوثين يرى أن الجامعة الجزائرية تلعب دورا ثانويا في تحديث المجتمع الجزائري ويرجع السبب إلى ما يلي :

جدول رقم 7 : سبب عدم مساهمة الجامعة في نشر نظم وقيم المجتمع الحديث

السبب	ك	٪
انحرافها عن مهامها	14	34.14
لا تواكب العصرنة	07	17.07
تقليد للغرب	08	19.51
عدم ثقة المجتمع فيها كثيرا	07	17.07
دون إجابة	05	12.19
المجموع	41	99.98

يوضح الجدول تعدد مواقف المبحوثين من عدم مواكبة ما تبثه الجامعة للعصرنة، وفقدان مصداقيتها في المجتمع، إلى جانب تقليدها للمنظور الغربي ومحاولة تطبيقه على المجتمع المحلي، هذا إلى جانب تركيز أكبر نسبة من إجابات المبحوثين الذين لهم موقف سلبي عن انحراف الجامعة عن المهام الأساسي الموكل إليها وهو إعداد أفراد إعدادا علميا نظريا وتطبيقيا متكاملا يؤهلهم لمواكبة العصرنة المحلية والعالمية.

مما سبق يمكن القول إنه إذا كانت الدراسات الأولى للتحديث نظرية كانت أو تطبيقية قد أوضحت الدور الأساسي الذي يلعبه التعليم في التحديث في كل المجتمعات، فإن تصريحات المبحوثين قد عبرت عن تراجع دور الجامعة في تحديث المجتمع نتيجة بروز مصادر أخرى للتحديث كتطور وسائل الإعلام بمختلف أنواعها إلى جانب كثرة شبكات العلاقات بين مختلف الثقافات الأمر الذي ساهم في نشر التحديث وفي استمراره، هذا إلى جانب السياسات الحكومية والمشاريع التنموية خاصة في دول العالم الثالث التي تأخذ في الحسبان وبشكل مستمر تغيير وتحديث المجتمع في كل ميادينه .

الخـاتمـة

في الأخير يمكن القول إن التحديث هو مظهر من مظاهر التغير الاجتماعي وينطبق على العصرنة وإدخال أساليب ووسائل ناتجة عن التطور العلمي والتكنولوجي في كل الميادين السياسية، الاجتماعية الاقتصادية، الثقافية ....و غيرها. ومساهمة التعليم الجامعي في تحديث المجتمع لا يتم بنفس الطريقة ولا في نفس المدة، وليس بنفس المستوى على كل المجتمعات، إذ هناك مجتمعات أكثر استعدادا للتحديث ماديا ومعرفيا بتوفر إمكانيات مادية ونخبة لها الاستعداد والقدرة الكافية على المساهمة في التخطيط والتوجيه نحو التحديث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب توفر القاعدة المعرفية في المجتمع بتوفر ذهنيات وإيديولوجيات ترحب بالتغيير في كل المجالات، إلى جانب توفر طاقات بشرية مؤهلة قادرة على المساهمة ومواكبة العصرنة، كما أن التفتح الثقافي والاستفادة من التجارب الناجحة للمجتمعات المتقدمة هي من العوامل التي تساهم في تحقيقها، علما أن التحديث ليس له نقطة نهاية ، وإنما هو متواصل بتواصل التقدم العلمي والتكنولوجي بالإضافة إلى إرادة الإنسان . وعن مدى مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع حسب مواقف أفراد عينتنا، فقد تبين أنه بالرغم من الاجتهاد المستمر للسلطات في نشر وتحديث التعليم الجامعي بإدخال وسائل تكنولوجية ورأس مال بشري ومادي عليه بشكل مستمر، إلى جانب فتح جامعات أو فروع لها باستمرار عبر مختلف مناطق الوطن، رغم ذلك لم تتوج هذه الجهود بالأهداف المسطرة. إذ وضحت نتائج هذا البحث أن مساهمة الجامعة الجزائرية في تحديث المجتمع يبقى نسبيا، نتيجة عدم استغلال كل الكفاءات المتخرجة من الجامعة في التنمية الوطنية، أو لعدم تكوين الطالب تكوينا متكاملا ميدانيا ونظريا، هذا القصور أثر سلبا على أدائه الوظيفي بصفة خاصة وعلى الاقتصاد الوطني بصفة عامة . كما أن عزل الجامعة عن الواقع الاجتماعي وعن احتياجات المجتمع يعتبر أهم عائق تواجهه الجامعة في أدائها لوظيفتها.

وليحقق التعليم أهدافه التحديثية يجب الأخذ في الحسبان العديد من العناصر التي تعتبر أساسية في خطط إصلاح التعليم نذكر منها:

- مراعاة في وضع البرامج التعليمية: التغيرات التي حدثت في المجتمع والتغيرات التي يرجى تحقيقها مستقبلا.
- ربط التكوين بحاجات المجتمع التي تتماشى والتقدم التكنولوجي والتقني الذي عرفه العصر.
- تدعيم التكوين بالتطبيقات الميدانية لربط معارف المتعلم النظرية بواقعه المعيش.
- تعليم الأفراد كيف يساهمون في بناء دولة حديثة ماديا وإيديولوجيا.
- تعليم الأفراد كيف يتكيفون مع مختلف المواقف التي تتميز بخاصية التحديث.
- ربط التعليم بخطط التنمية لإعداد الصفوة التي يوكل لها مهام تحديث المجتمع في كل الجوانب.

ويمكن إضافة عنصر آخر هو الاهتمام بالبحوث العلمية في كل التخصصات، فقد جاء في المجلس الشوري بجمهورية مصر العربية أنه "يواجه العالم المعاصر تحديات علمية وتكنولوجية، فلا قوة اقتصادية ولا مشاركة عالمية ولا نفاذ إلى الأسواق الخارجية، ولا قدرة على الصمود تجاه المنافسة الشرسة، إلا من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي القائم على بحث علمي قوي وصناعة متطورة " (مكتب الأهرام الاقتصادي.2002).

فالبحث العلمي في كل التخصصات يمكننا من فهم واقعنا والعمل على إصلاحه بكشف العناصر السلبية لوضع حدَ لها أو إصلاحها، وبتدعيم العناصر الإيجابية لاستمرارها أو تقويمها وتدعيمها بأحدث ما توصلت إليه الممارسة العلمية . وفي الأخير مثلما قال الباحث الجزائري محمد العربي ولد خليفة "فإن المحرك الصحيح لفعالية البحث والتكوين والعالي منه بوجه خاص هو نوع الخبرة التي يوفرها للمجتع والمساهمة التي يقدمها في السياق المتسارع نحو التنمية "(ولدخليفة، محمد العربي1989).

قائمة المراجع باللغة العربية والفرنسية:

1- بوشلوش محمد الطاهر، (2008)، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثرها على القيم في المجتمع الجزائري (1967- 1999)، دار بن مرابط للنشر والطباعة، الجزائر.

2- د. الخولي سناء، (1993)، التغير الاجتماعي والتحديث، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية.

3 - د.شبل بدران، (2003)، التعليم والتحديث، دار المعارف الجامعية، مصر.

4- محمد العربي ولد خليفة، (1989)، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

5- هاريسون ديفيد، (1998)، علم اجتماع التنمية والتحديث، ترجمة أ.دمحمد عيسى برهوم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان.

6- مكتب الأهرام الاقتصادي، (أول يناير 2002)، تحديث مصر، العدد 169 ،مطابع الأهرام التجارية، مصر.

7 - André Aknoun et Pierre Ansart,(2006) , Dictionnaire de Sociologie, Collection le Robert/Seuil, France .

8 -Danilo Martuccelli, (1999) , Sociologie de la modernité, Editions Gallimard, France

9- Philippe Cabin et J.Francois Dortier, (2004), La Sociologie: Histoire et Idées, Editions des Sciences Humaines, France.

10 -Raymon Boudon, Philippe Besnard et autres,(2005), Dictionnaire de Sociologie, Bussières,France.

مواقع الانترنت:

1- د.مصطفى التير، التعليم والتغير الاجتماعي تأثير متبادل : حالة المجتمع الليبي، في موقع http://www.almotamar.com.ly

2- هيثم المهنا، قراءة في مصطلح متجدد التحديث ... مفهوم تطوري يحقق التقدم والنمو، في موقع http://www.voltairenet.org/article90782.html

3- فارس إيغو، الديمقراطية والتنمية، في موقع:

http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=52712#

تأثيـر النشاط البدنـي والرياضـي على تنميـة الدافعيـة
لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية

د/ بوعجناق كمـال – المركز الجامعي خميس مليـانة

أ/زاوي عبد السلام – معهد التربية البدنية والرياضية سيدي عبد الله -الجزائر

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية ويشمل التعليم الثانوي بنوعيه: العام والتقني، من حيث تطوره ووظيفته وأهدافه وبنيته، مع توجيه الاهتمام إلى الدافعية التي تعتبر أهم مقومات النشاط البدني والرياضي وتحتل مكانة هامة باعتبارها تستحوذ على أكبر مميزات النجاح والتفوق الرياضي وتبسط مبادئها في كل مجالات الحياة عامة والمجال الرياضي بصفة خاصة.

وعموما فهذه الدراسة تركز على مناقشة المعالم والمحددات الرئيسية التي تربط الدافعية بالنشاط البدني والرياضي في حد ذاته، وتحديد طبيعة هذه العلاقة ومختلف اتجاهاتها ومدى تأثير كل عنصر على الآخر والشوائب التي تتعرض لها هذه الأخيرة في مسار الحقل الرياضي لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

ومن أهم النتائج التي نستخلصها في الفرضية الأولى أن التلاميذ قد أكدوا على دافعيتهم لممارسة النشاط البدني والرياضي وذلك راجع إلى أن أغلبيتهم ذكروا عاملي امتلاكهم للقدرات التي يتطلبها هذا النشاط والرغبة في الوصول إلى المستوى الرياضي النخبوي العالي.

أما الفرضية الثانية فكان من نتائجها أنها تنمي فيهم الدافعية لممارسة النشاط البدني والرياضي خارج المؤسسات التربوية، وذالك يرجع إلى عامل تنمية قدراتهم في أماكن أخرى غير الثانوية مثل القاعات المتعددة الرياضات، النوادي الرياضية...الخ.

ونستخلص من الفرضية الثالثة أن مشاركة التلاميذ في المنافسات الرسمية لما بين الثانويات وعامل الدافعية إلى النشاط البدني والرياضي الممارس قبل دخولهم إلى الثانوية، كان عامل تحفيز في توجيههم إلى ممارسة النشاط البدني والرياضي والتوجه إلى الرياضة التنافسية في النوادي خارج الثانوية.

مقدمة وإشكالية البحث:

إن الرياضة الجزائرية تعاني من تأخر محسوس على مستوى النتائج الدولية فماعدا بعض الانتصارات التي تعد على أصابع الأيدي، أغلبية هذه النشاطات الرياضية تكتفي في المحافل الدولية بالمشاركة وفقط.

هذا الوضع يثير استفسارات لدي الأخصائيين خاصة أن المادة الخام موجودة كما تشهد عليه السيطرة شبه التامة، هذا ما يشهد القدرات والمؤهلات الكبيرة التي يتمتع بها الجزائريون في المجال الرياضي وهذا بالطبع إن وجدوا الظروف المواتية لإظهار مواهبهم كما تشهد بالمقابل إلى الضرر الذي تعاني منه على مستوى القاعدة الشبابية باعتبار أن 75% من المجتمع الجزائري والمتمثلة في الشبان لم يظهر منه سوى بعض الأبطال على المستوى القاري والعالمي، فإلى ماذا يرجع هذا الوضع؟

حسب الدراسات التي درست في هذا المجال هناك عدة عوامل ساهمت في هذا الوضع نذكر منها قلة المنشآت والتجهيزات الرياضة بالإضافة إلى غياب استراتيجية واضحة للتكفل بالرياضة أو ممارسيها.

هذه النقطة الأخيرة لا يمكن فصلها عن الوضع العام للبلاد والتي تترجمه المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذا الثقافية بمفهومها الشامل الذي يضم الثقافة الرياضية فعدم التجانس بين الاهتمام بشريحة الشباب والأطفال على المستوى الرياضي والرغبة الجانحة لهؤلاء للبروز على المستطيلات الخضراء وعلى المضمار وفوق الحلبة وكذا فوق البساط خلقت اختلالا كبيرا في توازن الميكانيزمات المكونة للأبطال.

وبغض النظر عن كون هاته الأشكال مرتبطة بقضايا التنمية، المرتبطة هي أيضا بالإمكانيات المادية، فمن تحصيل حاصل القول أن الرغبة في ممارسة النشاط البدني

الرياضي تصاب بالفشل في مثل هذه الأوضاع وهو الأمر الذي يترتب عنه انزلاقات خطيرة على مستوى تربية النشء سواء من حيث تطوير قدراتهم البدنية أو من حيث أنها عنصر فعال للحفاظ عل توازن الفرد مع بيئته كمقاومة المرض، القدرة على التحمل ...الخ، أو من حيث خلق إطار نقي لقضاء أوقات فراغهم وبشكل مفيد ومن ثمة تنمية قدراتهم الانفعالية والعاطفية وهذا له دور في التنمية الشخصية المتوازنة.

ومن هذا المنطلق تبرز أهم المجالات الحيوية لممارسة النشاطات البدنية والرياضية وهي مادة مدرجة في برنامج وامتحانات التربية والتكوين لدى المنظومة التربوية من خلال الأمرية رقم 95- 09 المؤرخة في 1995/02/25، وعليه ارتأينا في بحثنا هذا دراسة درجة تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

كما ازداد الاهتمام في السنوات الأخيرة بحل **المشكلات** في إطار سيكولوجية التفكير والابتكار، وتتجلى طريقة حل المشكلات بتحديد المشكلة كإحدى أهم الطرائق لتنمية التفكير في أن الباحث في شروط المواقف الإشكالية يكشف عناصر جديدة وينمي أساليب مألوفة ويختبر فرضيات وتوقعات من صنعه هو.

فيما يخص الدافعية فهي من أهم مقومات النشاط البدني والرياضي وتحتل مكانة هامة باعتبارها تستحوذ على أكبر مميزات النجاح والتفوق الرياضي وتبسط مبادئها في كل مجالات الحياة عامة والمجال الرياضي بصفة خاصة.

وتعني الدافعية بصفة عامة الحالات أو القوى الداخلية التي تحرك الفرد وتوجهه لتحقيق هدف معين وتفسير الدافعية بالمعنى السابق حظي باهتمام الكثير من المفكرين والعلماء، وقد انعكس هذا الاهتمام في تعدد النظريات التي تحاول تفسير الدافعية، ومن بين هذه النظريات التي تحظى بتأييد العديد من المفكرين في مجال علم النفس الرياضي – نظرية الدافع للإنجاز- ومفهوم الدافعية كما يتبناها أصحاب هذه النظرية عبارة عن حاصل ضرب (الدافع❖ توقيع الحافز).

وعليه حاولنا جاهدين أن نناقش المعالم والمحددات الرئيسية التي تربط الدافعية بالنشاط البدني والرياضي في حد ذاته، وتحديد طبيعة هذه العلاقة ومختلف اتجاهاتها ومدى تأثير كل عنصر على الآخر والشوائب التي تتعرض لها هذه الأخيرة في مسار الحقل الرياضي لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

وفي الواقع التطبيقي سعينا أن تكون عينة البحث شاملة أي حاولنا جاهدين أن نستقطب كثيرا من تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي من أجل إعطاء أكبر مصداقية ممكنة للبحث، ونظرا لأهمية كل الخصائص السالفة الذكر وانعكاسها على المنهج التعليمي المتبع، كانت هذه الدراسة، حيث تم تسليط الضوء على الدافعية بشكل أساسي باعتبارها الركيزة الأساسية التي ينبثق منها ينبوع الجيل الصاعد، وكذا المحور الرئيسي والأهم الذي يدور حوله صلب الموضوع ومن هذا المنطلق نطرح التساؤلات التالية:

- ❖ هل للنشاط البدني والرياضي تأثير على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية؟
- ❖ هل ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية يؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية؟
- ❖ هل ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية مابين الثانويات يؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية؟

أما **الفرضيات** فتعرف على أنها "ذلك الحل المسبق لإشكالية البحث"[1]، وهناك من يرى أن فروض البحث هي "تنبؤ لعلاقة قائمة بين متغيرين"[2]...الخ، كما أن الفرضية هي أيضا "نقطة التحول من البناء النظري إلى التصميم التجريبي للإجابة على الإشكالية

(1) Maurice Angers, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines, 2ème Édition, inc, Québec, 1996, p102.

(2) André Lamoureux, recherche et méthodologie en science humaines, Édition Etudes vivantes, Québec, 1995, p124.

القائمة"[1] ... الخ، وللفروض العلمية عدة أغراض منها تتوقع استنتاجات محتملة تفرض على الباحث إطارا فكريا معينا، يساعده على رسم الخطوات التالية للبحث، كما يعينه على اختيار وسائله الإحصائية التي يستخدمها في التحليل وتفسير بياناته، وبالإضافة إلى أن الفروض تساعد الباحث في وضع هيكل عام لتقديم نتائج بحثه بطريقة تعين القارئ على فهمها[2]... الخ، وبناء على التساؤلات الواردة في الإشكالية والأهداف التي يمكن دراستها وضعنا الفرضيات التالية:

❖ **الفرضية الأولى العامة:** ممارسة النشاط البدني والرياضي تؤثر في تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

❖ **الفرضية الجزئية الثانية:** ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية تؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

❖ **الفرضية الجزئية الثالثة:** ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات لها تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

أما أهداف هذه الدراسة فتمثلت في الهدف الرئيسي وهو: - معرفة مدى تأثير ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل المؤسسات التربوية على تنمية الدافعية للممارسة خارج المؤسسات التربوية.

وعليه انبثقت أهداف ثانوية انحصرت في:

❖ قياس مدى تأثير ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الحصة على تنمية الدافعية الخاصة بممارسة النشاط البدني والرياضي خارج الثانوية.

❖ قياس مدى تأثير ممارسة النشاط البدني والرياضي في المنافسات الرسمية لما بين الثانويات على تنمية الدافعية الخاصة المرتبطة بممارسة النشاط البدني والرياضي خارج الثانوية.

ومن ضمن **المفاهيم والمصطلحات** التي وردت في البحث والتي ينبغي توضيحها هي:

---

(1) إخلاص محمد عبد الحفيظ، مصطفى حسين باهي، طرق البحث العلمي والتحليل الاختصاصي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1978، ص56.

(2) محمد زيان عمر، البحث العلمي منهجه وتقنياته، ط04، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص83.

1- الممارسة

1.1- الممارسة لغة: مأخوذة في اللغة العربية من الفعل مارس = ممارسة ومراسا (مرس) الأمر عالجه وزاوله وعناه وشرع فيه[1]، أما في اللغة الفرنسية فهي PRATIQUER = مارس، زاول، تعاطى، طبق عمليا، نفذ اختلط، ارتاد، وألف.

2.1- الممارسة اصطلاحا: وهي تعني تكرار النشاط مع توجيه معزز من خلال هذا التعريف يظهر أن الممارسة أساس التعلم بمعنى أنها تشمل جميع أساليب النشاط سواء كانت المتعلقة باكتساب المهارات أو المعلومات أو طريقة التفكير.[2]

3.1- الممارسة في المجال الرياضي: فالأمر رقم 09/95 من المادة 64 يعتبر الممارسة: "كل شخص مؤهلا طبيا يتعاطى أو يقوم بممارسة نشاط بدني رياضي ضمن إطار منتظم أو ملائم، عندما يكون الممارس مجازا بانتظام في ناد رياضي ومدمج في منظومة تنافسية يأخذ تسمية "رياضي".[3]

2- النشاط البدني الرياضي:

يرجع ظهور النشاط الرياضي إلى العصر الحديث، وهو يعتبر ميدانا من ميادين التربية وعنصرا قويا في إعداد الفرد الصالح من خلال تزويده بخبرات ومهارات واسعة، تمكنه من التكيف مع مجتمعه وتجعله قادرا على تشكيل حياته وتساعده على مسايرة تقدم العصر وتطوره وذلك لكون النشاط الرياضي يعمل على ترقية العادات الإنسانية من خلال تأثيره على صحة الفرد البدنية والعقلية والخلقية والحركية أو المهارة في أدائها من خلال نشاط رياضي معين، وهي عبارة عن وحدة تشترك في إنجازها مختلف الأجهزة الحيوية لدى الإنسان، كما أنه لا يمكن الاستغناء عن الجانب النفسي والاجتماعي كالإرادة والوسط الذي يعتبر بذل الجهد والاستمرار في النشاط.[4]

والنشاط الرياضي يعتمد بشكل أساسي على الطاقة البدنية للممارس.

---

(1) محمد الباشا الكافي ، معجم عربي حديث، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر 1992، ص 669.

(2) محمد مصطفى زيدان السمالوطي، علم النفس التربوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة السعودية، 1985، ص59.

(3) وزارة الشباب والرياضة، أمر رقم 09/95 المؤرخ في 1995/09/25 المادة 64.65، ص24.

(4) محمد عوض بسيوني، فيصل ياسين الشاطي، نظريات وطرق التربية البدنية، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص ص09- 13.

3- **المراهقة:**

1.3- المراهقة لغة: تعني الخفة والسفلة والجهل، غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه كما جاء في لسان العرب.[1]

2.3- المراهقة اصطلاحا: فالمراهقة هي المرحلة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرشد واكتمال النضج.[2]

ويقصد الباحثون بالمراهقة المرحلة السنية التي تتراوح بين 14-18 سنة والتي توافق في الميدان الدراسي المرحلة الثانوية.[3]

وفيما يخص **الدراسات المرتبطة** فقد تناولت دراسات عديدة موضوع الدوافع عالميًا وعربيًا، إلا أنه، في حدود علم الباحثين لم تجر أية دراسات جزائرية متخصصة في موضوع هذه الدراسة « تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية ».

لقد بدأ الكثيرون من علماء التحليل النفسي في عام 1960 يهتمون بالرياضة والتفسير الديناميكي لشخصية الرياضيين.[4] وقد صدر كتاب بعنوان «الدافعية في اللعب والألعاب الجماعية والرياضات Motivation in play, games and sports»، اشتمل على مقالات لحوالي خمسين عالمًا من علماء التحليل النفسي وغيرهم.

وقد حاول أغلب هؤلاء العلماء وصف كيفية تفاعل الأنا الإنساني Humain ego والنشاطات الرياضية التي يمارسها الإنسان.

وقد أولت الجامعات الأوربية والأمريكية أهمية كذلك للدراسات في ميدان الدوافع ومن هذه الدراسات نذكر:

الدراسات التي قدمت في مؤتمر علم النفس الرياضي والذي عقد في إيطاليا في أفريل عام 1965[5].

---

(1) رابح تركي، أصول التربية في مادة التربية البدنية والرياضية في مرحلة التعليم الثانوي، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون طبعة، 1992، ص 367.

(2) رابح تركي، أصول التربية والتعليم، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص ص 241- 242.

(3) مصطفى فهمي، علم النفس والطفولة والمراهقة، دار المعرفة الجديدة، بيروت، 1975، ص27.

(4) Henry C.Link , The rediscovery of man , The Macmillan Co ., 1946 ,pp ,157-190

(5) سعد جلال ، محمد حسن علاوى ، علم النفس التربوي الرياضي ، ط6 ، دار المعارف ، مصر ، 1978 .

ومنها الدراسة التي تقدم بها مجموعة من الباحثين في جمهورية بولندا تحت عنوان تأثير الدافعية على نتائج المنافسات الرياضية. كذلك هدفت الدراسة التي أجراها Gould و آخرون 1982 على عينة مؤلفة من 365 سباحًا وسباحة، التعرف على دوافع الممارسة الرياضية للسباحين الناشئين(10- 19 سنة)، وكشفت النتائج أن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية بين السباحين والسباحات في دوافع اكتساب اللياقة البدنية، والفوز، والتنافس، والتحدي لصالح السباحين، أما دوافع الصداقة، واكتساب المكانة، والثقة، فكانت لصالح السباحات ذوات الخبرة البسيطة.(1)

ومنها كذلك الدراسة التي تقدم بها بعض الباحثين في جمهورية تشيكوسلوفاكيا (سابقًا) بعنوان الدوافع المرتبطة بالنشاط الرياضي في مرحلة الشباب.

وقد توالت البحوث والدراسات ومن ضمنها دراسة Schaltz, Ewing, and Felt حيث تناولت دوافع لاعبي الهوكي الجليدي في أمريكا التي أجريت على عينة لاعبين تراوحت أعمارهم بين (15-18 سنة)، وقد أظهرت النتائج أن الوصول إلى مستوى أعلى من التنافس، لتطوير المهارات، للمتعة وللتحدي كان أهم الدوافع للاعبين.(2)

أما في الوطن العربي تناولت عدة دراسات موضوع الدوافع في الميدان الرياضي ومن هذه الدراسات نذكر:

دراسة محمد حسن علاوى 1975 التي هدفت إلى التعرف على دوافع ممارسة النشاط الرياضي لدى طلبة المدارس الإعدادية في محافظة القاهرة اشتملت على عينة مكونة من 3487 طالبًا وطالبة، وقد دلت النتائج أن دوافع اكتساب اللياقة البدنية احتلت المرتبة الأولى للطلاب والطالبات، أما الدوافع الأخرى فقد اختلف ترتيبها من مرحلة إلى أخرى ومن حين إلى آخر.(3)

(1) Gould .D. et al. Participation motives in competitive youth swimmers, in Metal Training for coaches and athletes, Edited by Orlick T. And others.1982.

(2) Schaltz, Ewing, and Felt. Projection psychological characteristics of hockey players in junior high schools, aprelimenary report. Unpublished manusript 1984.

(3) محمد حسن علاوى ، علم النفس الرياضي ، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1975، ص31 .

ودراسة تهاني أحمد جبران سنة 1983 والتي هدفت إلى التعرف على الفروق بين دوافع السباحين والسباحات عند المشاركين و المشاركات في بطولة الأندية عند طلبة المدارس الثانوية في جمهورية مصر العربية[1] كذلك دراسة نبيلة لبيب و نادية حسن عام 1984 والتي هدفت إلى التعرف على الدوافع المهمة للممارسة الرياضية عند طلبة المدارس الثانوية في جمهورية مصر العربية.[2]

أما دراسة مسالمة رزق عام 1986 هدفت إلى التعرف على دوافع ممارسة النشاط الرياضي لطلبة المدارس الإعدادية في محافظة بغداد، فقد أجريت على عينة مكونة من 1091 طالبًا وطالبة، وقد أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين دوافع البنين والبنات لصالح البنين[3].

كما تناولت باهي والنشار عام1987 دوافع ممارسة النشاط الرياضي للمشتركين في سباق ماراثون الفراعنة بهدف التعرف على أهم هذه الدوافع وعلى الفروق في الدوافع بين الفئات العمرية الست المشاركة. بلغت عينة الدراسة 605 لاعبًا، وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعات المشاركة في دوافع الميول الرياضية، و الدوافع البدنية والاجتماعية لصالح المجموعة التي دون 20 سنة.[4]

ودراسة مدحت صالح عام 1989 التي تناولت أبعاد الدافعية الرياضية للاعبي كرة السلة وعلاقتها بمستوى الأداء بين مجموعتين، مجموعة المستوى الأعلى (المتفوقين) ومجموعة المستوى الأقل. تكونت عينة الدراسة من 64 لاعبًا، وقد أظهرت النتائج أن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0.05 بين اللاعبين المتفوقين واللاعبين الأقل تفوقًا لصالح مجموعة المتفوقين.[5] وغيرها من البحوث حيث نجد

(1) تهاني أحمد جبران، الفروق بين دوافع السباحين و السباحات، المؤتمر العلمي لبحوث و دراسات التربية الرياضية، القاهرة، مصر، 1983، ص 153- 158.

(2) نبيلة لبيب، نادية حسن، دراسة الدوافع الهامة لممارسة السباحة لدى تلاميذ و تلميذات المدارس في مصر، مؤتمر الرياضة للجميع، كلية التربية الرياضية، جامعة حلوان، القاهرة، ص 233.

(3)مسالمة رزق، دوافع ممارسة النشاط الرياضي، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، 1986.

(4) باهي مصطفى حسين، و عادل محمد النشار، دوافع ممارسة النشاط الرياضي للمشتركين في سباق ماراثون الفراعنة، المؤتمر العلمي لتطور علوم الرياضة، م3، كلية التربية الرياضية، جامعة ألمنيا، 1987 .

(5) صالح مدحت، دراسة الدافعية الرياضية و علاقتها بمستوى الأداء للاعب كرة السلة، المجلة العلمية للتربية الرياضية، العدد الرابع، جامعة حلوان، القاهرة، 1989.

البحث الذي قامت به «وداد الحامي» للتعرف على دوافع ممارسة النشاط الرياضي عند فتيات الثانوية في وقت الفراغ واختارت عينة عشوائية من الأعضاء المشتركين في الأندية بالقاهرة والجيزة و شبهت هذه الدوافع مع التي ذكرها « Rudik » مع بعض الدوافع الأساسية وهي:

1 . الميل الرياضي، أي أن الفرد له ميل نحو ممارسة النشاط الرياضي.

2 . الترويح بممارسة النشاط الرياضي يكون لتحقيق المتعة والراحة.

3 . اكتساب نواح عقلية ونفسية بما أن سلامة العقل مرتبطة بسلامة الجسد، فالفرد يمارس النشاط الرياضي لتحقيق نمو عقلي ونفسي سليمين.(1)

و قد توالت البحوث والدراسات ومن ضمنها الدراسة التي قامت بها الملا شهد عام 1997 لمعرفة دوافع النشاط الرياضي عند الطلبة الجامعيين في الجزائر، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في دوافع ممارسة النشاط الرياضي بين المعاهد الإنسانية والعلمية ولصالح المعاهد العلمية.(2)

من خلال استفسارنا واطلاعنا على الدراسات السابقة، قمنا بالبحث عن المواضيع التي لها علاقة بموضوع بحثنا هذا، وجدنا البعض منها، ولكن ليس لها علاقة كبيرة بموضوعنا، نذكر من بينها موضوعا يدرس دوافع النشاط الرياضي والذي هو تحت عنوان "دوافع النشاط الرياضي لدى تلاميذ المرحلة الثانوية"، وكان من إعداد توشان صالح، سنة 1993.

كما وجدنا موضوعا باللغة الفرنسية والذي يدرس تأثير العائلة على تلاميذ الثانويين لممارسة النشاط الرياضي والذي هو تحت عنوان: " La famille et son influence sur la pratique sportive des lycéens" وكان من إعداد: شريف رشيد، وذلك سنة 1992.

ويعتبر اختيار **منهج الدراسة** مرحلة هامة في عملية البحث العلمي، إذ يحدد كيفية جمع البيانات والمعلومات حول الموضوع المدروس، لذا فإن منهج الدراسة له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، وبإشكالية البحث، حيث طبيعة الموضوع هي التي تحدد اختيار المنهج المتبع، وانطلاقا من موضوع دراستنا: (تأثير النشاط البدني والرياضي

(1) محمد حسن علاوى، علم النفس الرياضي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987، ص 180.

(2) الملا شهد ، دوافع النشاط الرياضي عند الطلبة الجامعيين في الجزائر ، رسالة ماجستير ، معهد التربية البدنية و الرياضية دالي إبراهيم ، الجزائر ، 1997 .

على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية) حيث نتطرق في بحثنا إلى موضوع أو ظاهرة من الظواهر التربوية والنفسية والاجتماعية ما هي عليه في الحاضر وكشف جوانبها وتحديد العلاقة بين عناصرها، بغرض توضيح تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع واستجابة لطبيعة الدراسة، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الذي يعرف بأنه: "تصور دقيق للعلاقات المتبادلة بين المجتمع والاتجاهات والميول والرغبات والتصور بحيث يعطي صورة للواقع الحياتي ووضع مؤشرات وبناء تنبؤات مستقبلية"[1]...الخ.

وقد عرفه (هويتي) في تصنيفه للمناهج: "بأنه يعتمد على تجميع الحقائق والمعلومات ثم مقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة"[2]...الخ.

إن مشكلة كل دراسة تصاغ على شكل **متغيرات** يؤثر أحدها على الآخر، بالاعتماد على مفاهيم ومصطلحات ووجب علينا تحديد هذه المتغيرات وهي كالأتي:

- **المتغير المستقل:** هو العلاقة بين السبب والنتيجة أي العامل المستعمل نريد من خلاله قياس النواتج[3]...الخ.

- **المتغير التابع:** هو الذي يوضح الناتج أو الجواب لأنه يحدد الظاهرة التي نحن بصدد محاولة شرحها وهي تلك العوامل أو الظواهر التي يسعى الباحثان إلى قياسها، وهي تتأثر بالمتغير المستقل[4]...الخ.

أ- **المتغير المستقل:** النشاط البدني والرياضي.

ب- **المتغير التابع:** تنمية الدافعية لدى التلاميذ.

أما **الدراسة الاستطلاعية**، فهي تلك البحوث التي تتناول موضوعات جديدة لم يتطرق إليها أي باحث من قبل ولا تتوفر عنها بيانات أو معلومات أو حتى يجهل الباحث كثيرا من أبعادها وجوانبها [5]...الخ.

---

(1) وجيه محجوب، طرائق البحث العلمي ومناهجه، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، 1991، ص219.

(2) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979، ص224.

(3) Delandsheer j, Introduction à la recherche en éducation Ed. a. Cllin, Bourreier Paris, 1976, p20.

(2)Maurice, Angers, limitation à la méthodologie des sciences humains 2ème Edition CELINC, 1996, p118.

(5) ناصر ثابت، أضواء على الدراسة الميدانية، ط1، مكتبة الفلاح الكويتية، 1984، ص74

وباعتبار أن دراستنا (تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية)، حيث قمنا بزيارة لمجموعة من الثانويات بالجزائر العاصمة، فكان اختيارنا لأربع ثانويات تابعة لمقاطعة زرالدة هي: (ثانوية زرالدة المختلطة، ثانوية القرية زرالدة، ثانوية ابن عبد المالك رمضان، متقنة سطاوالي). ولقد مكنتنا الدراسة الاستطلاعية من دراسة الوسيلة التي ستستعمل في الدراسة الأساسية قصد صياغة فرضيات عمل قابلة للاختبار ومدى استجابة عينة البحث للأهداف.

وعليه **مجتمع الدراسة** يمثل الفئة الاجتماعية التي نريد إقامة الدراسة التطبيقية عليها وفق المنهج المختار والمناسب لهذه الدراسة، وفي هذه الدراسة كان مجتمع البحث جميع التلاميذ الذين يدرسون في مرحلة التعليم الثانوي ويتراوح سنهم بين (14- 18 سنة)، والمتواجدون في الأربع ثانويات سالفة الذكر. والذين كان عددهم 60 تلميذا وتلميذة، موزعين على أربع ثانويات، وهذا التوزيع يكون حسب متطلبات وخصوصيات كل ثانوية.

أما الهدف من اختيار **العينة** وهو الحصول على معلومات من المجتمع الأصلي للبحث، فليس من السهل أن يقوم الباحث بتطبيق بحثه على جميع أفراد المجتمع الأصلي، فالعينة إذ هي انتقاء عدد الأفراد لدراسة معينة تجعل النتائج منهم ممثلين لمجتمع الدراسة، فالاختبار الجديد للعينة يجعل النتائج قابلة للتعميم على المجتمع، حيث تكون نتائجها صادقة بالنسبة له[1]...، فكان اختيار العينة من المجتمع الأصلي بطريقة عشوائية والتي ضمت 30 تلميذا و30 تلميذة وهذا كمرحلة نهائية.

حيث حرصنا على أن تكون العينة مأخوذة من مرحلة التعليم الثانوي (الطور الثالث)، يتراوح سنهم بين (14- 18 سنة). كما تكون العينة الأصلية فيه نسبة الذكور تساوي نسبة الإناث.

ولإجراء هذا البحث قمنا باستعمال **الملاحظة الموضوعية** وهي ملاحظة الظاهرة المدروسة وذلك بالتقرب منها، ففي بحثنا هذا الظاهرة هي كيفية تأثير ممارسة النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية، حيث سمحت لنا هذه الملاحظات بتحديد أسئلة موجهة للتلاميذ الممارسين

(1)إخلاص محمد عبد الحفيظ، مصطفى حسين باهي، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي، مركز الكتاب للنشر، مصر، 2000، ص129.

للنشاط البدني والرياضي وهذا من أجل التعرف على العينة. أما الوسيلة الثانية فكانت متمثلة في **الاستبيان**، حيث يطرح فيه مجموعة من الأسئلة تهدف إلى جمع معلومات تتعلق بموضوع دراستنا. كما اعتمدنا طريقة المقابلة في طرح أسئلة الاستبيان الموجهة للتلاميذ الممارسين للنشاط البدني والرياضي الذين يتراوح أعمارهم مابين 14- 18 سنة وسبب استعمال هذه الطريقة راجع إلى المستوى المتدني للبعض منهم.

ومن **مبررات استعمال هذا المقياس** في الدراسة هو أن عملية جمع البيانات والمعلومات لا تتم إلا من خلال المقاييس والاستبيانات وكذا طبيعة مشكلتنا وصياغة فرضياتنا استدعت استعمال هذه الأداة لغرض الوصول إلى تحديد العلاقة بين المتغيرات. فقمنا بتسليم الاستمارات إلى التلاميذ، مع تقديم بعض الشرح للأسئلة وكيفية الإجابة عنها. ثم قمنا بتسليم الاستمارات لعينة صغيرة تضم 20 تلميذا وتلميذة، كما قمنا بإعادة نفس الاستمارة إلى نفس العينة بعد أسبوع من أجل التأكد من صدق وثبات الاختيار، بعدها قمنا بتسليم الاستمارة إلى 60 تلميذا وتلميذة.

مع العلم أنه لا يمكن لأي باحث أن يستغني عن الطرق **والأساليب الإحصائية** مهما كان نوع الدراسة التي يقوم بها سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية، تمد بالوصف الموضوعي الدقيق، فالباحث لا يمكنه الاعتماد على الملاحظات ولكن الاعتماد على الإحصاء يقوده إلى الأسلوب الصحيح والنتائج السليمة[1] ... الخ، وقد استخدمنا في بحثنا هذا التقنيات الإحصائية التالية: القاعدة الثلاثية؛ معامل الارتباط؛ حساب اختبار كا[2].

كما أن **صدق الاختبار** يعتبر شرطا أساسيا للاختبار الناجح ونقصد بصدق الاختبار الذي وضع من أجله، وهذا يمكن تفسيره على أنه الاستعمال في البحوث العلمية للتوصل إلى نتائج لها دلالة معنوية أي استعمال هذا الاستبيان من طرف باحثين لدراسة نفس المتغيرات لكن في ظروف مغايرة. كما يقول فان دالين عن **ثبات الاختبار**: "إن الاختبار يعتبر ثابتا إذا كان يعطي نفس النتائج باستمرار إذا ما تكرر على نفس المفحوصين تحت نفس الشروط.[2]

(1) محمد السيد، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، ط2، دار النهضة العربية، مصر، 1970، ص74.

(2) محمد صبحي حسنين، القياس والتقويم في التربية البدنية والرياضية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص192.

ولكي نتأكد من صحة واستقرار نتائج الدراسة التي نحن بصدد القيام بها قمنا بتطبيق الاختبار مرتين على نفس العينة من التلاميذ الممارسين للنشاط البدني والرياضي حيث قمنا بتقديم الاستبيان لـ 20 تلميذا تم اختيارهم عشوائيا وبعد أسبوع قمنا بإعادة تقديم نفس الاستبيان لنفس الفئة للتأكد من ثبات الاختبار فكان معامل الثبات يساوي 0.84 وهو معامل يمكن الاعتماد عليه في الدراسة.

ومن ضمن **الصعوبات** التي واجهتنا عند قيامنا بالتجربة الاستطلاعية ما كانت متمثلة في:

- صعوبة فهم بعض الأسئلة من طرف التلاميذ الممارسين وتكمن الصعوبة لدى البعض في عدم إتقانهم للغة العربية الفصحى.

- رفض بعض التلاميذ الإجابة على الأسئلة وعدم تعاونهم والإجابة بطريقة عشوائية مما يتطلب منا إلغاء هذه الإجابات وتقديم الاستبيان إلى تلاميذ آخرين ممارسين للنشاط البدني والرياضي بنفس عدد الإجابات الملغية من أجل ثبات عينة الدراسة.

وعلى إثر ذلك تمت التعديلات التالية وهي:

- القيام بإعادة صياغة الأسئلة بالفرنسية شفويا لبعض التلاميذ كي يتمكنوا من الإجابة عليها.

- الطلب من المدربين ملء الاستمارة مباشرة دون أخذها إلى المنزل.

- متابعة المستجوب أثناء قيامه بالإجابة وذلك لمساعدته وتسهيل المهمة عليه.

كما قسمنا الاستبيان إلى ثلاثة محاور بحيث كل محور يخدم فرضية من الفرضيات التي نود التأكد منها، وهنا سنحاول عرض وتحليل نتائج كل محور على حدة، حيث نجد أن:

- **المحور الأول:** يدرس النشاط البدني والرياضي وتأثيره على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

- **المحور الثاني:** يدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية وتأثيره على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

- **المحور الثالث:** يدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات وتأثيرها على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

-عرض وتحليل نتائج المحور الأول:

جدول (01) : يمثل تكرارات ونسب مئوية لعبارات المحور الأول.

العبارات / الأجوبة		عبارة رقم 01		عبارة رقم 02		عبارة رقم 03		عبارة رقم 04		عبارة رقم 05		المجموع
		التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	
نعم	ت	52	45.60	38	45.60	44	45.60	48	45.60	46	45.60	228
	%	86.67		63.33		73.33		80		76.67		
لا	ت	08	14.40	12	14.40	16	14.40	12	14.40	14	14.40	72
	%	13.33		36.67		26.67		20		23.33		
المجموع		60		60		60		60		60		300
$كا^2$ المحسوبة		09.75										
$كا^2$ المجدولة		09.49										
مستوى الدلالة		0.05										
درجة الحرية		04										

عرض النتائج:

يتبين من خلال الجدول (01) والمتعلق بالفرضية الأولى أنه يدرس النشاط البدني والرياضي وتأثيره على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية، إذ أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) حيث بلغت قيمة كا2 المحسوبة 09.75 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا2 والتي

بلغت 09.49 ويمكن القول من خلال الجدول (01) إن النشاط البدني والرياضي له تأثير على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

- عرض وتحليل نتائج المحور الثاني:

جدول (02): يمثل تكرارات ونسب مئوية لعبارات المحور الثاني.

العبارات / الأجوبة		عبارة رقم 06		عبارة رقم 07		عبارة رقم 08		عبارة رقم 09		عبارة رقم 10		المجموع
		التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	
نعم	ت	55	48.20	46	48.20	48	48.20	42	48.20	50	48.20	241
	%	91.67		76.67		80		70		83.34		
لا	ت	05	11.80	14	11.80	12	11.80	18	11.80	10	11.80	59
	%	08.33		23.33		20		30		16.66		
المجموع		60		60		60		60		60		300
$كا^2$ المحسوبة		09.74										
$كا^2$ المجدولة		09.49										
مستوى الدلالة		0.05										
درجة الحرية		04										

عرض النتائج:

يتبين من خلال الجدول (02) والمتعلق بالفرضية الثانية التي تدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية وتأثيره على ممارسة الرياضة

خارج الثانوية، أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) إذ بلغت قيمة كا2 المحسوبة 09.74 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا^2 والتي بلغت 09.49 ويمكن القول من خلال الجدول (02) إن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية لها تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

عرض وتحليل نتائج المحور الثالث:

جدول (03): يمثل تكرارات ونسب مئوية لعبارات المحور الثالث.

العبارات / الأجوبة		عبارة رقم 11		عبارة رقم 12		عبارة رقم 13		عبارة رقم 14		عبارة رقم 15		المجموع
		التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	التكرار المشاهد	التكرار المتوقع	
نعم	ت	54	46.60	47	46.60	39	46.60	50	46.60	43	46.60	220
	%	90		78.34		65		83.34		71.67		
لا	ت	06	13.40	13	13.40	21	13.40	10	13.40	17	13.40	80
	%	10		21.66		35		16.66		28.33		
المجموع		60		60		60		60		60		300
كا^2 المحسوبة		13.33										
كا^2 المجدولة		09.49										
مستوى الدلالة		0.05										
درجة الحرية		04										

عرض النتائج:

يتبين من خلال الجدول (03) والمتعلق بالفرضية الثالثة التي تدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات وتأثيرها

على ممارسة الرياضة خارج الثانوية أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) إذ بلغت قيمة كا2 المحسوبة 13.33 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا2 والتي بلغت 09.49 ويمكن القول من خلال الجدول (03) إن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات تؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

- تحليل ومناقشة النتائج:

1- تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى:

من أجل التحقق من صحة الفرضية الأولى للبحث والتي كانت تنص على أن النشاط البدني والرياضي له تأثير على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية وانطلاقا من هذه الفرضية والنتائج المحصل عليها من خلال متابعتنا للتلاميذ الممارسين للنشاط البدني والرياضي وقيامنا باستبيان فإننا نستطيع إثبات صحة هذه الفرضية، وذلك من خلال النسب المئوية التي توصلنا إليها والتي دلت على أن النشاط البدني والرياضي له تأثير على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية إذ بلغت حينها قيمة كا2 المحسوبة 09.75 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا^2 والتي بلغت 09.49 ومنه يمكن القول من خلال هذه النتائج المتحصل عليها إن النشاط البدني والرياضي له تأثير على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية.

ومن هنا وفي إطار وحدود وظروف ما ترمي إليه هذه الدراسة وحسب ملاحظتنا للفرق يمكننا القول إنه قد تحققت الفرضية الأولى.

2- تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية.

لقد قمنا بصياغة الفرضية الثانية على أساس أن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية لها تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

وانطلاقا من النتائج المتحصل عليها من خلال ملاحظتنا للتلاميذ الممارسين للنشاط البدني والرياضي وبعد تقديم الاستبيان فإننا استطعنا إثبات هذه الفرضية وذلك من

خلال النسب المئوية التي توصلنا إليها والتي دلت على أن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية لها تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، حيث بلغت حينها قيمة كا^2 المحسوبة 09.74 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا^2 والتي بلغت 09.49 ومنه يمكن القول من خلال هذه النتائج المتحصل عليها أن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية لها تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية.

ومن هنا وفي إطار وحدود وظروف ما ترمي إليه هذه الدراسة وحسب ملاحظتنا للفرق يمكننا القول أنه قد تحققت الفرضية الثانية.

3- تحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة.

لقد قمنا بصياغة الفرضية الثالثة على أساس أن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات تؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، وانطلاقا من النتائج المتحصل عليها من خلال ملاحظتنا للتلاميذ الممارسين للنشاط البدني والرياضي وبعد تقديم الاستبيان فإننا استطعنا إثبات هذه الفرضية وذلك من خلال النسب المئوية التي توصلنا إليها والتي دلت على أن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات له تأثير على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، إذ بلغت حينها قيمة كا2 المحسوبة 13.33 وهي أكبر من القيمة المجدولة لـ كا^2 والتي بلغت 09.49 ومنه يمكن القول من خلال هذه النتائج المتحصل عليها إن ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات تؤثر على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، ومن هنا وفي إطار وحدود وظروف ما ترمي إليه هذه الدراسة وحسب ملاحظتنا للفرق يمكننا القول إنه قد تحققت الفرضية الثالثة.

خـاتمة:

من خلال النتائج المتحصل عليها في دراستنا للفرضيات المدرجة في بحثنا، والتي عالجت إشكالية بحثنا المطروحة، والتي تصب حول معرفة مدى تأثير النشاط البدني والرياضي على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية، تبين لنا أن الاتجاه العام أخذ مجراه نحو قبول الفرضيات المقترحة، وهذا ما أكدته إجابات التلاميذ للعبارات التي كانت موزعة على ثلاثة حاور رئيسة، حيث كان المحور الأول يحتوي على خمس عبارات تخدم الفرضية الأولى والتي تدرس النشاط البدني والرياضي وتأثيره على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي خارج المؤسسات التربوية، ومن أهم النتائج التي نستخلصها في هذه الفرضية أن التلاميذ قد أكدوا على دافعيتهم لممارسة النشاط البدني والرياضي وذلك راجع إلى أن أغلبية التلاميذ ذكروا عاملي امتلاكهم للقدرات التي يتطلبها هذا النشاط والرغبة في الوصول إلى المستوى الرياضي النخبوي العالي.

أما المحور الثاني فكان يضم أيضا خمس عبارات تخدم الفرضية الثانية، والتي كانت تدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل حصة التربية البدنية والرياضية وتأثيره على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، ومن أهم النتائج التي نستخلصها في هذه الفرضية أن التلاميذ قد أكدوا على تنمية القدرات الرياضية أثناء حصة التربية البدنية والرياضية، كما تنمي فيهم الدافعية لممارسة النشاط البدني والرياضي خارج المؤسسات التربوية، وذالك يرجع إلى عامل تنميتهم السابقة في أماكن أخرى غير الثانوية مثل القاعات المتعددة الرياضات، النوادي الرياضية...الخ.

أما المحور الثالث فكان يشمل خمس عبارات تخدم الفرضية الثالثة والتي تدرس ممارسة النشاط البدني والرياضي داخل الثانوية في إطار المنافسات الرسمية لما بين الثانويات وتأثيرها على ممارسة الرياضة خارج الثانوية، ومن أهم النتائج التي نستخلصها في هذه الفرضية أن التلاميذ قد أكدوا على أن مشاركتهم في المنافسات الرسمية لما بين الثانويات وعامل الدافعية إلى النشاط البدني والرياضي الممارس قبل دخولهم إلى الثانوية، أثرت على خلق اتجاه التلاميذ إلى ممارسة النشاط البدني

والرياضي خارج الثانوية، وبشكل أساسي في النوادي الرياضية والذي يحتمل مقدمة الأماكن التي تستقطب اهتمام التلاميذ في تعاطي الأنشطة البدنية والرياضية.

ومن هنا وعلى ضوء هذه النتائج يتضح لنا بأن للنشاط البدني والرياضي الممارس خارج المؤسسات التربوية تأثيرا على تنمية الدافعية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الثانوي.

وأخيرا نذكر أن هذه الدراسة تبقى مفتوحة للبحث فيها والتعمق في دراستها من جوانب أخرى لم نتطرق إليها وكانطلاقة لدراسات أخرى من زوايا أخرى.

اقتراحات وفرضيات مستقبلية:

من خلال الدراسة التي قمنا بها خرجنا بمجموعة من الاقتراحات والفرضيات المستقبلية، تتمثل فيما يلي:

- العمل على جعل الرياضة المدرسية قاعدة لرياضة النخبة.
- خلق محفزات ودوافع للتلاميذ.
- محاولة الربط بين الرياضة في المدرسة والرياضة في النوادي.
- زيادة الوقت وعدد حصص التربية البدنية والرياضية ضمن البرنامج التدريسي.
- تكوين علاقات جيدة مع الأولياء حتى يقدموا للطفل الدعم النفسي الذي يحتاجه وتحسيسهم بمدى أهمية النشاط البدني والرياضي.
- توفير الإمكانيات والوسائل اللازمة والتي يحتاجها الأساتذة والتلاميذ أثناء حصة التربية البدنية الرياضية.
- مساهمة السلطات في تطوير ممارسة النشاط البدني والرياضي بتقديم الدعم المادي اللازم.

المصادر والمراجع:

أ. الكتب:

- إخلاص محمد عبد الحفيظ، مصطفى حسين باهي، 2000، **طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي**، مركز الكتاب للنشر، مصر.

- السيد محمد، 1970، **الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية**، ط2، دار النهضة العربية، مصر.

- بسيوني محمد عوض، فيصل ياسين الشاطىء، 1992، **نظريات وطرق التربية البدنية**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- تركي رابح، 1990، **أصول التربية والتعليم**، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- تركي رابح، 1992، **أصول التربية في مادة التربية البدنية والرياضية في مرحلة التعليم الثانوي**، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون طبعة.

- ثابت ناصر، 1984، **أضواء على الدراسة الميدانية**، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت.

- حسنين محمد صبحي، 1995، **القياس والتقويم في التربية البدنية والرياضية**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، القاهرة.

- حمد بدر، 1979، **أصول البحث العلمي ومناهجه**، وكالة المطبوعات، الكويت.

- سعد جلال، محمد حسن علاوى، 1978، **علم النفس التربوي الرياضي**، ط6، دار المعارف، مصر.

- علاوى محمد حسن، 1987 ، **علم النفس الرياضي**، دار المعارف، ط2، القاهرة.

- فهمي مصطفى، 1975، **علم النفس والطفولة والمراهقة**، دار المعرفة الجديدة، بيروت.

- محجوب وجيه، 1991، **طرائق البحث العلمي ومناهجه**، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل.

- محمد زيان عمر، 1983، **البحث العلمي منهجه وتقنياته**، ط04، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- مصطفى محمد، 1985، **علم النفس التربوي**، دار الشروق للنشر والتوزيع جدة، السعودية.

ب. القواميس والمعاجم:

- الكافي محمد الباشا، 1992، **معجم عربي حديث**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

ج. المجلات العلمية والمؤتمرات:

- باهي مصطفى حسين، وعادل محمد النشار، 1987، **دوافع ممارسة النشاط الرياضي للمشتركين في سباق ماراثون الفراعنة**، المؤتمر العلمي لتطور علوم الرياضة، م3، كلية التربية الرياضية، جامعة ألمنيا.

- تهاني أحمد جبران، 1983، **الفروق بين دوافع السباحين والسباحات**، المؤتمر العلمي لبحوث ودراسات التربية الرياضية، القاهرة، مصر.

- صالح مدحت، 1989، **دراسة الدافعية الرياضية وعلاقتها بمستوى الأداء للاعب كرة السلة**، المجلة العلمية للتربية الرياضية، العدد الرابع، جامعة حلوان، القاهرة.

- لبيب نبيلة، نادية حسن، **دراسة الدوافع الهامة لممارسة السباحة لدى تلاميذ وتلميذات المدارس في مصر**، مؤتمر الرياضة للجميع، كلية التربية الرياضية، جامعة حلوان، القاهرة.

د. الرسائل والأطروحات:

- الملا شهد، 1997، **دوافع النشاط الرياضي عند الطلبة الجامعيين في الجزائر**، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التربية البدنية والرياضية دالي إبراهيم، الجزائر.

- مسالمة رزق، 1986، **دوافع ممارسة النشاط الرياضي**، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد.

د. المناشير الوزارية:

- وزارة الشباب والرياضة أمر رقم 09/95 المؤرخ في 1995/09/25 ص 24 المادة 64.65.

باللغة الأجنبية:

- André Lamoureux, 1995, recherche et méthodologie en science humaines, Edition Etudes Vivantes, Québec, p124.

- Delandsheer, 1976, Introduction à la recherche en éducation, ed.a.cllin, bourrier paris.

- Gould .D. et al. 1982, Participation motives in competitive youth swimmers, in Metal Training for coaches and athletes, Edited by Orlick T. And others.

- Henry C.Link, 1946, the rediscovery of man, The Macmillan, Co.

- -Maurice, Angers, 1996, limitation à la méthodologie des sciences humains, 2ème Edition, Inc, Québec, CELINC.

- Schaltz, Ewing, and Felt. 1984, Projection psychological characteristics of hockey players in junior high schools, a prelimenary report. Unpublished manusript.

استهلاك وسائل الإعلام
وأثره على الانحراف

أ / مسعودي مواخير-جامعة سعد دحلب البليدة

أولا : مفهوم وسائل الإعلام

لا زالت السينما والمسرح والتلفزيون والصحافة والكتب والراديو تعتبر من وسائل التسلية والترفيه وخاصة عند الأحداث الصغار أو الشباب أكثر منها وسائل للثقافة والتربية الأخلاقية والاجتماعية، "و قد اختلف الرأي حولها فيما يتعلق بمدى علاقتها بتسبيب الانحراف عند الصغار أو الشباب إذا لم تكن مرتكزة على أسس سليمة في طريقة ما تعرض أو في مضمون المادة المعروضة، لأن علماء الاجتماع والنفس قد انتبهوا وحذروا من طريقة استعمالها، حتى إن الكثير من الدول الحديثة قد أخذت في توجيه هذه الوسائل توجيها قانونيا وثقافيا، - مع الرقابة التامة – لكي يتفادى المجتمع مضارها على النشء وحتى تستغل أحسن استغلال ممكن لفائدة الصغار والكبار" [1].

أصبح الإعلام يشكل اليوم القفزة في حياتنا وانتشرت وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة انتشارا كبيرا في كل المجتمعات، هذا ما جعل الفرد يقضي معظم وقته مع هذه الوسائل والتي أصبحت تشكل له الهواء الذي يتنفسه والماء الذي يشربه والغذاء الذي يأكله فالإعلام أصبح لدى معظم الناس من بين الأشياء اليومية والمهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها تحت أي ظرف من الظروف، فالعالم اليوم أصبح قرية إلكترونية بفضل وسائل الإعلام والأقمار الصناعية التي عرفت تطورا كبيرا في القرن العشرين وهذا ما يأخذنا إلى التطرق إلى المفاهيم المتعددة للإعلام حيث عرف بعض المؤلفين الإعلام بأنه "العملية الإعلامية التي تبدأ بمعرفة الخبر الإعلامي بمعلومات ذات

([1]) سعد المغربي، انحراف الصغار. القاهرة، دار المعارف، 1968، ص 164 – 165.

أهمية أي معلومات جديدة للنشر والنقل ثم تتوالى إلى مراحلها لجمع المعلومات من مصادرها ونقلها ثم التعامل معها وتحريرها ونشرها وتحليلها وإرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة أو محطة تلفزيونية"[1]، فالإعلام هو عملية تقوم بتزويد الفرد والجمهور بالمعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة، " ويتسم الإعلام بالصدق والدقة والصراحة وعرض الحقائق الثابتة والأخبار الصحيحة دون تحريف باعتباره البث المسموع أو المرئي أو المكتوب للأحداث الواقعية بعكس بعض أشكال الاتصال الأخرى التي لا تتوخى هذه الجوانب "[2]. ويعرف سمير حسين " الإعلام بأنه كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف مما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن هذه القضايا والموضوعات، وبما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة "[3]، ويعرفه نور الدين بليل: " أنه عملية جمع وتخزين ومعالجة ونشر الأخبار والبيانات والصور والحقائق والرسائل والآراء والتعليمات المطلوبة من أجل فهم الظروف والآراء الشخصية والبيئية ..." [4].

إذن ومن خلال كل هذه التعاريف المتعلقة بالإعلام نستنتج أن الإعلام هو عملية نقل المعلومات والحقائق والآراء والوقائع والأفكار للجمهور مع ذكر مصادرها بشكل دقيق وصحيح، وللإعلام دور كبير في إمداد الفرد والمجتمع بكل المعلومات المتعلقة بحياته اليومية الاجتماعية منها والسياسية وحتى الاقتصادية والثقافية، ويخاطب

([1]) عزيزة عبده، الإعلام السياسي والرأي العام. القاهرة، دار الفكر، 2000، ص 87.

([2]) عاطف عدلي العبد، الاتصال والرأي العام. القاهرة، دار الفكر العربي، 1993، ص 16 .

([3]) سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام . القاهرة، عالم الكتب، 1984، ص 22 – 23 .

([4]) نور الدين بليل، الإعلام وقضايا الساعة . الجزائر، البعث للطباعة والنشر، 1991، ص 15 .

الإعلام عقول الجماهير وعواطفهم بالحوار والمناقشة بأمانة وموضوعية ويهدف لنهضة المجتمع ورقيه وتثقفيه بالتأثير على سلوك الفرد والجماعة .

ثانيا : نظريات تأثير وسائل الإعلام

تستحوذ وسائل الإعلام في عصرنا هذا على الاهتمام كله، لما لها من قوة التأثير على الأفراد والجماعات والمجتمعات، وأصبحت أداة تساند القوة الاقتصادية والإيديولوجية والعسكرية والسياسية في الدول الحديثة، وقد قدم علماء الاجتماع والاتصال والسياسة العديد من النظريات التي تشرح تأثير وسائل الاتصال وسوف نحاول في هذا المبحث التطرق إلى أهم النظريات التي تعرضت لكيفية تأثير وسائل الإعلام على الفرد والأسرة والمجتمع .

1- نظرية الرصاصة الإعلامية أو الحقنة تحت الجلد:

استخدمت وسائل الاتصال الإليكترونية في الحرب العالمية الأولى بشكل مكثف لم يسبق له مثيل حتى إن هتلر أرجع هزيمة ألمانيا في الحرب، بالإضافة إلى عوامل أخرى، إلى تأثير الإذاعة والحرب النفسية التي شنتها دول الحلفاء ضد ألمانيا، وصاحب ذلك وجود إيمان قوي بأن وسائل الإعلام قادرة على تحديد الفكر ودفع الأفراد إلى التصرف وفقا لأسلوب معين تسعى إلى تحقيقه سواء كان ما تهدف إلى إحداثه من تأثير إيجابيا كزيادة المعلومات أو سلبيا كخلق أو تدعيم اتجاهات العنف، وشعر المواطنون بالقلق لإحساسهم بأن وسائل الإعلام حلت محل العنف أو القهر في إخضاع الجماهير وإقناعها بتقبل الأوضاع القائمة [1]، وظهرت في وسط هذا الاتجاه خلال هذه الفترة نظرية الرصاصة الإعلامية أو الحقنة تحت الجلد تأثرا بالنظرية النفسية الشائعة في تلك الفترة والمتعلقة بالمنبه والاستجابة التي تفترض أن لكل فعل رد فعل، وإن كان منبه يحقق استجابة مؤكدة، واعتبرت هذه النظرية وسائل الإعلام منبها تتعرض له الجماهير وتستجيب له بشكل أو بآخر[2]، وهذه النظرية التي سادت في

([1]) عاطف عدلي العبد، المرجع السابق، ص 197 .

([2]) نفس المرجع، ص 198 .

الدراسات الإعلامية لفترة طويلة حتى نهاية الأربعينات تقريبا تقوم على الأسس النظرية الخاصة بالطبيعة الفردية الناتجة عن قيام المجتمع الجماهيري والاستجابة الفورية، بتأثير العوامل البيولوجية والعصبية للفرد بوصفه فردا منعزلا [1].

وتقوم هذه النظرية على اعتقاد ملخصه أن جمهور الاتصال عبارة عن مجموعة من الناس يتأثرون على انفراد بوسائل الإعلام التي يتعرضون لها، وأن رد الفعل إزاء وسائل الإعلام تجربة " فردية " أكثر منه تجربة " جمعية " ويمكن استنتاج افتراضين من هذه النظرية هما:

- يتلقى الأفراد المعلومات من وسائل الإعلام مباشرة دون وجود وسطاء .
- أن رد فعل الفرد رد فردي لا يعتمد على تأثره بالآخرين [2].

إذن يمكننا القول إن الجمهور قد يتأثر تأثيرا مباشرا سلبيا أو إيجابيا بواسطة وسائل الإعلام، لكن هذه النظرية لم تدم طويلا بل ظهرت نظرية جديدة تعتقد أن الاتصال عملية معقدة وتشتمل على عدة عوامل تساعد على زيادة فعالية الرسالة الإعلامية .

2- نظرية التأثير المحدود لوسائل الإعلام

اهتزت نظرية الرصاصة الإعلامية أو الحقنة تحت الجلد أمام نتائج الدراسات الميدانية التي أعقبت معارضة الصحافة الأمريكية للرئيس الأمريكي روزفلت بشكل كبير، ورغم ذلك نجح في انتخابات عامي 1939 و1940 وبدأت هذه النظرية غير قادرة على تفسير أسباب استجابة الناس بالطريقة التي تمت إزاء الرسائل التي وصلتهم من وسائل الإعلام وعكف الباحثون على تقييم هذه النظرية، وبدأت تظهر تدرجيا فكرة المجموعات الفرعية التي تقوم على جمهور داخل جمهور A mass within a mass [3]، حيث قدمت رؤية

([1]) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة، عالم الكتب، ط3 ، 2003، ص 237.

([2]) زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال . الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1991، ص 47 .

([3]) عاطف عدلي العبد، المرجع السابق، ص199، نقلا عن:

Bittner (d), Mass communication : An introduction (v. j : prentice – Hall ; inc ; Engle wood cliffs , 1980) p . 376 .

أشمل وأدق لكيفية استقبال المعلومات من وسائل الإعلام والإستجابة لها فلم تعد المعلومات التي يستقبلها الفرد مقصورة على ما تمده به وسائل الإعلام مباشرة وإنما تأتي بعض المعلومات من أفراد آخرين سبق لهم التعرض لهذه الوسائل، وتوصلت الدراسات الميدانية إلى ظهور فكرة انتقال المعلومات على مرحلتين، ومن الأمثلة التي توضح ذلك: [1] تخيل أن أحد كبار المسؤولين في شركة أسمدة يقرأ الصفحة المالية في إحدى الجرائد المحلية، أثناء تناوله لطعام الغذاء، ثم يذهب بعد الظهر إلى مكتبه فتقابله سكرتيرته ويقفان للتحدث، أثناء هذه المحادثة يقترح عليها التفكير في شراء أسهم في مجال الأعمال الزراعية كاستثمار شخصي لها، وتفكر السكرتيرة في هذا الاقتراح، إلا أنها حتى هذه اللحظة لم تتأثر بالدرجة التي تدفعها إلى الشراء، وإنما غيرت حديثها مع هذا المسئوول لاعتزازها بنصائحه لأنه صاحب خبرة واستثمارات عديدة في سوق الأوراق المالية، وقارئ الكثير من الصفحات والمجلات المالية التي تقدم معلومات مفيدة حول الاستثمارات المحتملة، وبناء على كل ذلك تقرر السكرتيرة شراء الأسهم.

لعل هذا المثال يوضح نظرية انتقال المعلومات على مرحلتين وتتلخص هذه النظرية في أن المعلومات تنتقل على مرحلتين : من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي، ومن قادة الرأي إلى أفراد آخرين، حيث تبين أن عددا كبيرا من الأفراد غيروا من آرائهم نتيجة لتأثير الأشخاص عليهم وليس لتأثير وسائل الإعلام عليهم [2] .

ويقول بيتز: إنه بالإضافة إلى الاتصال غير المباشر الذي يتلقاه الأفراد عبر تدفق الخطوتين أو عدة خطوات ربما يتوجهون إلى وسائل الاتصال مباشرة إما للحصول على مزيد من المعلومات وإما لتعزيز رأي قدم إليهم من أحد قادة الرأي أو لتكوين آراء خاصة فعلى الرغم من المكانة المتميزة لصديقك – على حد قول بيتز – إلا أنه لا يمكنك قبول معلوماته العلمية التي أخبرك بها المنشورة في مجلة علمية متخصصة سبق له الاطلاع عليها، وإنما قد تقرر الرجوع إلى المجلة العلمية وقراءة الموضوع بنفسك.

([1]) نفس المرجع، ص 199 .

([2]) نفس المرجع، ص 200.

ويقول جون بيتز معلقا أن ما حدث في الواقع كان علاقة متبادلة بين وسائل الإعلام وقادة الرأي وهي علاقة حددت في النهاية كيفية وصول مضمون وسائل الإعلام إليك وتأثيره فيك [1] .

3- نظرية الاستعمالات وتلبية الحاجات

تأخذ نظرية الاستعمالات وتلبية الحاجات في الاعتبار الأول المتلقي كنقطة بدء بدلا من الرسالة، وتشرح سلوكه الاتصالي فيما يتصل بتجربة الفرد المباشرة مع وسائل الإعلام لأن الأفراد يوظفون مضامين الرسائل بدلا من التصرف سلبيا حيالها [2] فالجمهور وفقا لهذه النظرية أساس في عملية الاتصال إذ يقوم المتلقى باستمرار باختيار الرسائل الإعلامية من بين فيض الرسائل الكثيرة التي يريد هو نفسه أن يتلقاها، ويشكل التعرض لوسائل الإعلام جانبا من بدائل وظيفية لإشباع الحاجات التي يمكن مقارنتها للوهلة الأولى بوظيفة قضاء وقت الفراغ لدى الإنسان، ويفترض هذا المدخل أن إشباع الحاجات يتم من خلال التعرض إلى وسيلة إعلامية محددة، وليس من خلال التعرض لأية وسيلة إعلامية بالإضافة إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه الوسيلة [3] .

باختصار تؤكد هذه النظرية فاعلية الجمهور المتلقى إذ أنه دائم التقرير لما يريد أن يأخذ من الإعلام بدل السماح للإعلام بتوجيهه الوجهة التي يريدها، فالجمهور يعتمد على معلومات وسائل الإعلام ليلبي حاجاته ويحصل على ما يحتاج إليه، وتصبح استعمالات الإنسان للإعلام المحك الرئيسي الذي يمكن أن يقاس بموجبه تأثير وسائله عليه .

4- نظرية التنفيس (التطهير)

تعتمد نظرية التنفيس على مبدإ تطهير العواطف والمشاعر عبر التجربة غير المباشرة والفكرة الأساسية هي : إذا أحس شخص بالعطش، وشرب جرعة كبيرة من الماء فإنه لابد أن تمضي عدة ساعات قبل أن يحس بالرغبة في الشرب مرة أخرى

([1]) نفس المرجع، ص 201 .

([2]) نفس المرجع، ص 202 .

([3]) نفس المرجع، ص 202 .

ذلك أن حاجته إلى الماء قد أشبعت بالكبت والغضب، فارتكب عملا عدوانيا، ذهب هذا العمل بغضبه وأصبح هذا الشخص أكثر هدوءا وسلاما بعد ذلك، والمرحلة الثانية في النظرية هي إمكان تصريف غضب الشخص تدريجيا عن طريق مشاهدته لمعركة في التلفزيون ويرى بعض الباحثين وفقا لهذه النظرية أن مشاهدة أفلام العنف تسمح للمشاهد بتصريف إحباطاته من خلال المعايشة الخيالية بدلا من الممارسة الواقعية حيث تعمل هذه المشاهدة كصمام أمان يصرف الإحباط والشعور بالعداء وتكون نتيجتها مماثلة للكلمات التي يوجهها المرء لكيس مملوء بالهواء [1]، فالإحباطات تتراكم داخل الأفراد في حياتهم اليومية، وتطلق أو تفرغ بشكل بديلي عن طريق مشاهدة سلوك العنف، ويرى البعض أن تطهير النفس من ميول العنف أمر مفيد وخاصة لشرائح المجتمع الدنيا أكثر من الشرائح الأخرى التي تستفيد من العلاقات الاجتماعية ووسائل التنشئة الاجتماعية لمواجهة الإحباطات [2]، ويرى فيشباخ وسنجر أن مشاهدة الفرد للعنف عبر وسائل الإعلام يمكن أن تعطي الفرد فرص مشاركة سلبية في الصراع العنيف الذي ينطوي عليه الفيلم أوالبرنامج، وتزود الفرد بخبرة عدوانية بديلة مما يمثل أداة لتهدئة مشاعره من العدوان والإحباط، ويقولان إن مشاهدة ممثل تلفزيوني في دور يتسم بالعنف والعدوان والإحباط تجعل المشاهد يشارك في أعمال الممثل العدوانية مما يؤدي إلى خفض حاجة المشاهد إلى الانخراط في أعمال عدوانية حقيقية [3].

ويدافع رجال صناعة التلفزيون الأمريكي عن كم العنف والرعب الذي يتزايد يوما بعد يوما في الإنتاج التلفزيوني بقولهم إن التلفزيون لا يعتبر شرا في ذاته بل هو مصدر صحي لتفريغ الطاقات الشريرة الكامنة في نفوس الكثير من الناس ممن يعانون اضطرابات نفسية وعقلية أو انحرافا في شخصياتهم، ويؤكدون أن الطفل بوجه خاص يجد في الشاشة الصغيرة مسرحا واقعيا يفرغ فيه خياله الحالم، وذلك عن طريق

([1]) نفس المرجع، ص 208 .

([2]) نفس المرجع، ص 208 .

([3]) نفس المرجع، ص 208 .

تقمص شخصيات المشهد الذي يراه، ولذلك يرون أن التلفزيون بهذا المعنى يخدم أغراضا علاجية وأهدافا إصلاحية [1].

وأوضحت أحدث الدراسات الميدانية العربية على وجه الخصوص ظاهرة إنتشار استخدام الفيديو التي أصبحت تمثل خطرا على الناشئين، ذلك الخطر الناجم عن الكيفية والطريقة التي تعرض بها بعض الأفلام وعن المضمون الاجتماعي والأخلاقي لها حيث تعرض العلاقات الجنسية والحب والغرام المكشوف والمغامرات وتمجيد البطولات الفردية التي تدور حول العنف والعدوان والغش والخديعة والانحلال [2]، كل هذه الأمور تجعل الفرد عرضة للانحراف والانحلال الخلقي مما يؤدي به إلى ارتكاب أبشع الجرائم وفي الأخير نستطيع القول إن التلفزيون لا يؤدي إلى تحقيق الجانب النفسي للفرد بصورة مطلقة لأن هناك عوامل عديدة تتحكم في الفرد بالإضافة إلى العوامل النفسية وتلعب دورا كبيرا في تنشئته .

5- نظرية التعلم من خلال الملاحظة

تشير هذه النظرية إلى أنه يمكن أن يتعلم الأفراد سلوك العنف من مراقبة أو مشاهدة برامج العنف والرعب والإثارة، فالأفراد يتعلمون سلوك العدوان والعنف من خلال مشاهدتهم للتلفزيون بتنميط سلوكهم حسب سلوك الشخصيات التي تعرضها برامج العنف[3] وتنطبق هذه النظرية بشكل كبير على الأطفال الصغار حيث يكون لبيئتهم تأثيرها الهام على ما يتعلمونه، وتزداد الخطورة حينما يكون التلفزيون بديلا عن الأبوين، وترى هذه النظرية أن العنف في وسائل الإعلام يزيد من احتمال العدوانية عند المستقبلين من خلال ما يلي:

- تزويد المشاهدين بفرص لتعلم العدوان والعنف .

([1]) نفس المرجع، ص 209 .

([2]) نفس المرجع، ص 210 .

([3]) نفس المرجع، ص 211 .

- تقديم شخصيات شريرة يمكن تقليدها ، فلقد تبين أن المشاهدين يقتدون في أغلب الأحيان بالشخصيات المتحدة معهم في الجنس والسن والظروف الاجتماعية والاقتصادية وأوضحت دراسة أجريت حول أهمية تأثير النموذج العنيف في تعلم التصرفات العنيفة لمجرد الاتصال بهذا النموذج حيث أجرى المؤلفون دراستهم على الأطفال من الحضانة من خلال مراقبتهم تسعة أسابيع على مرحلتين: الأولى مدتها ستة أسابيع، كان الأطفال في أثنائها يشاهدون البرامج التلفزيونية المعدة ضمن تنظيم معين، والمرحلة الثانية مدتها ثلاثة أسابيع وراقب فيها الأطفال أنفسهم في تصرفاتهم العادية، وتبين أن الأطفال بعد البرامج التي يكثر فيها العنف يصبحون أكثرعدوانية حيث لوحظ ازدياد الاشتباكات مع الغير والتقاتل وتحطيم الألعاب بينما يكون الطفل بعد البرامج ذات الطابع الهادئ أكثر هدوءا وطواعية في تصرفاته [1]، ومع تسليمنا بأن الانحراف سلوك معقد وتشترك عدة عوامل في تكوينه كالعوامل الأسرية والعوامل البيئية، ومع اعترافنا بأن الانحراف والعنف موجود قبل التلفزيون، لكن من المؤكد أنه لم يكن منتشرا إلى الحد الذي بلغه بعد ظهور التلفزيون والفيديو .

6- نظرية ماكلوهان :

على عكس الدراسات النظرية والميدانية الخاصة بعلوم الإعلام والاتصال التي اقتصرت فقط في البحث عن تأثير مضمون وسائل الإعلام فالعالم الكندي مارشال ماكلوهان الذي يرى أن المضمون ليس هو كل شئ وإنما هناك ما هو أهم منه وأكثر تأثيرا أو هو الوسيلة فينظر إلى الإعلام ووسائله كظاهرة اجتماعية وكمظهر من مظاهر الإتصال، حيث يرى أن الاتصال قد مر منذ بدايته التاريخية على ثلاث مراحل، المرحلة الأولى اتصال شفوي ثم تطور إلى اتصال كتابي ثم رجع اتصال شفوي .

إن هدف ماكلوهان من تحليل ظاهرة الاتصال الجماهيرية عبر التاريخ هو الوصول إلى مبدإ إقامة نظرية ورأي الوسيلة في أداة كبيرة للتأثير والرسالة ما هي إلا وسيلة أي أن الوسيلة عندما تكون جيدة تصبح هي الرسالة التي تؤثر في المجتمع، حيث كلما

([1]) نفس المرجع، ص 212 .

تغيرت الوسائل إلا وكان لها أثر كبير على المجتمع ووقعت تغيرات جذرية في السلوك بغض النظر عن محتوى الرسالة [1] .

كما صنف ماكلوهان وسائل الإعلام إلى باردة مثل السينما التلفزيونية وأخرى ساخنة كالراديو والصحافة والكتب ويرى أن الوسيلة الساخنة التي تعتمد على حاسة واحدة ويكون تأثيرها أقل من الوسيلة الباردة التي تعتمد على حاستي السمع والبصر تأثيرها على الجمهور أكبر[2].

ثالثا : وظائف وسائل الإعلام

لقد اتفق المختصون في مجال الإعلام على أن وسائل الإعلام تؤدي وظائف متعددة في المجتمع، ويرى هارولد لاسويل " LASSWEL " أن هذه الوظائف تتمثل فيما يلي :

1- الإشراف / الرقابة على البيئة أو المحيط .

2- العمل على ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للمحيط – البيئة التي يعيش فيها.

3- وظيفة نقل التراث الاجتماعي والثقافي ونشره من جيل إلى جيل آخر[3] .

وبينما تقوم وظيفة الإشراف على البيئة أي المحيط الذي يعيش فيه الناس بكشف ما يهدد قيم الجماعة ويؤثر عليها وعلى العناصر المكونة لها ، أي تقوم بجمع ونشر المعلومات من خلال البيئة أي المحيط الخارجي للأفراد وتزويد الأفراد بالمعلومات من خلال الأحداث التي تقع في المحيط الخارجي، وبينما الوظيفة الثانية تجعل للاتصال دورا أساسيا في ترابط بنية المجتمع وتماسكه، حيث يقوم الاتصال بمسؤولية الربط بين الحاكم والمحكوم وبين الجماعات المختلفة في المجتمع بما يتلائم مع مصالحها المشتركة .

([1]) طعيمة رشيد، " نظريات الاتصال والإعلام "، روضة الجندي، العدد 102، 1995، ص 19 .

([2]) محمد الجوهري، علم الاجتماع ودراسة الإعلام والاتصال. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، 1992، ص 223 .

([3]) صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة . بدون مدينة، آرام للدراسات والنشر والتوزيع، 1995، ط1 ، ص 104 .

أما الوظيفة الثالثة فهي التي بها يتم نقل القيم والعادات ونقل اللغة إلى أفراد المجتمع "أي تقوم وسائل الإعلام بنقل المعارف والقيم والمعايير والتقاليد الاجتماعية من جيل لآخروالتعريف بها ، كما أن الإعلام في الوقت الراهن أصبح يساهم بدوره في تحديث المجتمع وتحقيق التحضير، إذ تقوم وسائل الإعلام بنشر المعرفة وتنمية القواعد الحديثة التي تساير التطور والتحضر ، فالإعلام يعد عاملا أساسيا لنشر الأفكار العصرية وإشاعة المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة وخلق الشخصية الجديدة التي تتسم بروح التعاطف والتعاون والنمط الوجداني"[1] ، فكل وسيلة من وسائل الإعلام الجماهيرية تتسم بسمات مميزة تجعل منها أداة هامة لتحقيق الوظائف المنوطة بها ، من أجل تكوين آراء واتجاهات أفراد المجتمع، وتعمل على تحقيق أهدافها الخاصة .

رابعا: وسائل الإعلام الجماهيرية

إن كل وسيلة من وسائل الإعلام والاتصال لديها القدرة على الإقناع والتأثير، ومما هو معروف لدى الجميع أن الاتصال المواجهي أكثرمقدرة على الإقناع من الراديو وأن الراديو أكثر فعالية ومقدرة على الإقناع من المطبوع، وسوف نقف عند أهم وسائل الإعلام للتعرف على قدرة وخصائص كل وسيلة على حدة ومدى أثرها على الفرد والمجتمع .

أ) الراديو : يعتبر الراديو وسيلة اتصال قوية تستطيع الوصول إلى مختلف الأفرا د والجماعات والمناطق في العالم و" الراديو أسرع وسائل الاتصال الجماهيري مقارنة بالصحف والتلفزيون... فهو وسيلة سريعة للنشر ، فهو يتفوق في ذلك على الصحافة ومعظم وسائل النشر الأخرى ولذلك ينفرد بالسبق وأولوية النشر ، والأثر الأول للخبر أو الرأي لا يمحى بسهولة ويصعب معارضته "[2] .

و يرى أدوين واكين أنه منذ ظهور الراديو ، وهو يلعب دورا أساسيا في تزويد العالم بالأخبار بسرعة مما مكن الإذاعة المسموعة من تحقيق السبق الإخباري أكثر من

([1]) عبد الرحمان عزي، علم الإتصال . الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص 05 .

([2]) عاطف عدلي العبد ، المرجع السابق، ص 168 .

الصحف لأن الإرسال الإذاعي في الغالب متصل ليل نهار، وينتشر بسرعة ولا يحتاج إذاعة خبرهام إلى أكثر من القطع على البرنامج والإذاعة على الهواء ... ويقول أدوين واكين إن الراديو يستحوذ على الآذان في أمريكا في صباح كل يوم عندما يستيقظ الناس وتدير أصابعها مفاتيح الراديو لتعرف الأخبار وجاء في استقصاء أجري لمحطة إذاعة سي . بي . إس أن الراديو هو المصدر الأول للأخبار في الصباح بالنسبة للرجال والنساء [1]، ويعتبر الراديو من أسهل وسائل الاتصال من حيث الاستخدام، فلا يتطلب استخدام الراديو معلومات معقدة كالتلفزيون أو الفيديو، فلا يحتاج إلى إيريال كما أن ضبط موجاته أسهل مقارنة بضبط قنوات التلفزيون الذي يستلزم ضبط الصوت والصورة، وهو أرخص وسائل الاتصال، باعتبارأن معظم الأسر الجزائرية تملك جهاز الراديو في منزلها، وهو يزود الفرد بالمعلومات والأخبار اليومية من سياسة واقتصاد وثقافة ورياضة واجتماعيات الناس، وهذا ما يجعل الفرد يؤمن بكل المعلومات والأخبار المنقولة إليه .

ويحدث تأثير الراديو عن طريق الموضوعات، والأغاني والبرامج المختلفة التي يقدمها فالأغاني الخليعة، والقصص البوليسية المسلسلة، التي تركز على بطولة المجرم وعبقريته وكذلك بعض البرامج التي تدور حول مواقف الغش والخديعة والسلوك الإجرامي وكيفية التخلص منها .

مثل هذه المواد الإذاعية تؤثر على المستوى الخلقي والاجتماعي العام للصغير... بحيث تساعد على الميوعة والاستهتار واللامبالاة، وتدريب الذهن على التفكير في وسائل التخلص من جريرة ما يقع فيه من أخطاء، وبعبارة أخرى فإن أمثال هذه البرامج – وخاصة البوليسية وما شابهها - إنما تدعو إلى تمجيد البراعة واللباقة في مراوغة الآداب العامة والتحايل على القانون، بحيث يصبح الأمر هكذا: ليس من المهم أن نخطئ، وإنما المهم أن نعرف كيف نتخلص من تبعة أخطائنا سواء أمام المجتمع أو القانون .

ونعود فنقول إن الصغير إذا كان مستعدا – لأي سبب من الأسباب – لأن ينحرف فإن مثل هذه المواد الإذاعية تكون بمثابة العامل المساعد والمثير لأن ينزلق بسهولة في طريق

([1]) نفس المرجع، ص 168 .

الأفعال المضادة للمجتمع [1]، فيقوم بتقليد تلك المواد الإذاعية وخاصة السيئة منها وتجره بطبيعة الحال إلى ارتكاب سلوكات مضادة للمجتمع تساعد على انحرافه .

ب) التلفزيون: باتت وسائل الإعلام في 75 سنة الأخيرة من هذا القرن (المذياع والسينما والتلفاز) تؤثر على تنشئة الأجيال الصاعدة بشكل واضح وكان أكثرها فاعلية هو التلفاز، وبالذات على الأطفال إذ نهى خيالهم ورعرع أحاسيسهم وأذواقهم ومواقفهم واتجاهاتهم أكثر مما أثرت عليهم الأسرة والمدرسة وذلك بسبب مشاهدتهم البرامج المبثة من جهازه لفترة طويلة من الزمن في اليوم الواحد ، إذ أصبح الجهاز الترفيهي المفضل بالنسبة لهم [2] .

ويظهر دور التلفزيون كأداة تثقيف إذ يعتبر امتدادا للتعليم النظامي يثقف الناس وينمي معارفهم وتذوقهم للفنون والأدب، عن طريق البرامج الثقافية التي يقدمها للناس في جميع مجالات المعرفة المختلفة [3] .

ويمكن إعطاء عدة تعاريف خاصة بالتلفزيون، " إن التلفزيون كلمة مركبة من مقطعين " TELE " ومعناها عن بعد و" VISION " ومعناها الرؤية وهكذا يتكون لدينا مصطلح التلفزيون والذي يعني المشاهدة عن بعد " [4]، ويمكن تعريفه بأنه طريقة إرسال وإستقبال الصورة المرئية المتحركة وغير المتحركة من مكان لآخر بواسطة موجات كهرومغناطسية حتى تصل إلى جهاز استقبال على برنامج متكامل بصريا وسمعيا [5] ويعتبر التلفزيون وسيلة اتصال هامة تستقطب أكبر عدد من الناس والدليل على ذلك هو أن معظم الناس إن لم نقل جلهم يملكون جهاز تلفاز، وبهذا أطلق على العصر الذي نعيشه بـ"عصر التليفزيون " و" يعتبرالتلفزيون وسيلة اتصال سمعية بصرية

([1]) سعد المغربي، المرجع السابق، ص 168 – 169 .

([2]) معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة .عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000، ص 127.

([3]) مهى سهيل المقدم، المجتمع القروي بين التقليدية والتحديث . بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ولتوزيع، ط1 ، 1995، ص 183 .

([4]) فضيل دليو، مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية . الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998، ص 143 .

(5) محمد رضاء الدين، التلفزيون والتنمية الاجتماعية . القاهرة، دار القومية للطباعة والنشر، 1966، ص 31 .

تعتمد على الصوت والصورة الملونة المتحركة، ويدعم استخدام الصوت والصورة – الملونة – الرسالة التلفزيونية أيا كانت إعلامية أو إعلانية أو تعليمية أو ترفيهية فالرسالة التي يتلقاها الفرد من خلال حاستين تثبت أكثر من الرسالة التي يتلقاها عن طريق حاسة واحدة "[1].

والواقع أن التلفزيون يشكل اليوم أوسع الوسائل الإعلامية الجماهيرية شيوعا وأكثرها تأثيرا على حياة الأفراد والجماعات وأشدها التصاقا برغباتهم وتطلعاتهم وأقدرها على إشباع حاجاتهم وميولهم وذلك على اختلاف الأعمار والطبقات الاجتماعية[2].

ونستطيع القول إن التلفزيون له القدرة الكبيرة على الإقناع والتأثير في الأفراد إذ أنه ينقل الحدث وقت حدوثه بالصوت والصورة الحية، وأثناء تواجد الأفراد في مكان واحد وهذا ما يؤدي بهم إلى تبادل الآراء والمعارف والخبرات ، واكتساب معارف جديدة قد يتم توظيفها مستقبلا من طرفهم، كما يساعد التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد ولكن للتلفزيون أثر كبير على تغيير العلاقات والحوارات داخل الأسرة بل نجده قد فتت الروابط الأسرية، فالتلفاز أصبح الشغل الشاغل داخل الأسرة، فعوض تلك الجلسات والحوارات التي كان يقوم بها أفراد الأسرة قديما، أصبحت اليوم وخصوصا بعد دخول البارابول (الهوائيات المقعرة) التي أحدثت ضجة كبيرة داخل الأسرة وهي وسيلة إعلامية جد حديثة أثرت على الأسرة، وبالتالي أثرت على العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة خصوصا العلاقات بين الآباء والأبناء، فأصبح الأبناء يملكون ثقافة خاصة حيث أصبحوا يتبعون المودة ويقلدون الغرب في سلوكاتهم وطريقة لباسهم وعيشهم، واكتسابهم لأنماط جديدة من السلوك نتيجة لقضاء أوقات طويلة في مشاهدة البرامج التلفزيونية وهذا ما أكدته أعمال قابريال تارد Gabriel Tarde في نظريته حول التقليد والمحاكاة، وهذا في غياب الرقابة الوالدية، وهذا ما أثر سلبا على سلوكاتهم وبالتالي انحرافهم وتخليهم شيئا فشيئا عن قيمهم الدينية والأخلاقية، وهذا ما خلق نوعا من الصراع الثقافي بين الآباء والأبناء مما يولد صراعات داخل الأسرة سببها الرئيسي

([1]) عاطف عدلي العبد، المرجع السابق، ص 175 .

(2) عدنان الدوري، جناح الأحداث . الكويت، دار السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1985، ص 276 .

التلفزيون، والذي يقوم بعرض أفلام ومسلسلات إجرامية تساعد بشكل غير مباشر على توجيه الأفراد نحو الأفعال المنحرفة أو العدوانية وخصوصا الذكور، وهذه تأثيرات سلبية في التنشئة الإعلامية لأن الطفل يقضي معظم وقته في مشاهدة البرامج غير الهادفة أو العدوانية .

و"كذلك فضلا عن القيم الأخلاقية والاتجاهات الاجتماعية الشاذة التي ينطوي عليها مضمون تلك المسلسلات أو الأفلام، فيما يتعلق بالنظم الاجتماعية والعلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع، وفيما يتعلق بالعلاقات الجنسية والحب والغرام خاصة المكشوف منه وكذلك المغامرات وتمجيد البطولات الفردية وغير ذلك من الموضوعات التي تدور حول الغش والخديعة والانحلال، كل ذلك من شأنه أن يثير القلق والاضطراب في نفس الصغير أو المراهق إذا توفرت ظروف معينة وقد يكون هذا القلق حادا مما قد يثير مشاعر العدوان عندهم، ومن ثم فقد يندفع الحدث إلى الإجرام، ثم الشعور بالإثم، ثم التكفير عن هذا الإجرام بطلب العقوبة في إجرام آخر وهكذا سلسلة من الجريمة والشعور بالإثم والانحراف على وجه العموم، وقد ينشأ القلق والاضطراب نتيجة لأن الحدث بحكم سنه وقلة نضجه ناقص في خبرته، ضعيف في أحكامه ومن ثم يقع فريسة لما يرى ويسمع وتستهويه مواقف الرواية فينزلق في مهاوي الانحراف تنفيسا عن قلقه وحلا لصراعاته ومن ناحية أخرى فإن هذه الأفلام كثيرا ما تلهب خيال الصغير، وتدفعه إلى الاستغراق في أحلام اليقظة، والوقوع بين شقي الصراع الناشئ بين القيم والأفكار والاتجاهات التي تستهويه ويتأثر بها في الأفلام، وبين ما لديه من قيم مستمدة من واقع حياته الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والتي تختلف عن الأولى اختلافا بينا وعندما يشتد الصراع فقد يبدأ بالانحراف ويأخذ من بين أشكاله وصوره ذلك السلوك المضاد للمجتمع أوالجريمة"[1].

(1) سعد المغربي، المرجع السابق، ص 167 – 168 .

"فمشاهدة البرامج التلفزيونية بما فيها من مضمون مثير قد يحرك الأطفل لارتكاب أفعال العنف " [1].

لكن التلفزيون ليس السبب الوحيد للانحراف لأن الانحراف سلوك معقد للغاية ينجم عن مؤثرات متشابكة لها جذورها في البيت وجماعات الأقران والمدرسة والمجتمع، ولا يعني ذلك إعفاء التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى من تحمل مسئولياتها عن نشر العنف والرعب فمما لاشك فيه أن التعرض المستمر لبرامج التلفزيون مثلا يؤدي إلى تكوين نظرة كلية شاملة للحياة وتقويم غير مرغوب فيه لها، فالحلول العلمية طويلة الأجل والنظرة الديمقراطية تصبح عديمة الجدوى في حين أن العنف هو الحل الأمثل لمشكلات الحياة مما يدفع البعض إلى إطلاق لقب جامعة الجريمة على التلفزيون، أو كما يصفه أحد الأطباء بأنه إذا كان السجن بالنسبة للمراهقين هو كلية يتعلمون فيها الجريمة فإن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف [2]

ج) **الصحافة:** إن الصحافة وسيلة حديثة لإرضاء حاجة قديمة تتمثل في نشر الأنباء وإعلام الرأي العام بالأحداث يوما بعد يوم، ولكنها تعد تاريخيا من أقدم وسائل الإعلام مقارنة بالسينما والراديو والتلفزيون، ولا نقصد بذلك ما ذهب إليه بعض المؤرخين من القول بأن المصريين القدماء والرومانيين عرفوا الصحافة، فنحن نتفق مع أستاذنا خليل صابات بأنه لا يمكن اعتبار هذه الأخبار التي كانت تنقش على الحجرأوتكتب على ورق البردى صحافة[3] وإنما نعني أن الصحافة أقدم وسائل الإعلام بالجماهير لأنها ظهرت بعد اختراع يوحنا جوتنبرج للطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة مما أمكن معه الحصول على نسخ متماثلة من نفس المضمون في نفس اللحظة، ودون الدخول في الاختلافات الدائرة حول تحديد أول صحيفة منتظمة في العالم، فإن

([1]) محمد عارف، الجريمة والمجتمع (نقد منهجي لتفسير السلوك الإجرامي) . القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط1، 1975، ص 608 .

([2]) عاطف عدلي العبد، المرجع السابق، ص 262 .

([3]) نفس المرجع، ص 181 .

الصحافة الحديثة المنتظمة بدأت في إيطاليا أواخر القرن السادس عشر [1]، وانتشرت تدرجيا في دول العالم المختلفة .

تعتبر الصحافة من أفضل الوسائل للوصول إلى الجماهير المتخصصة والجماهير صغيرة الحجم، لأن إستخدام الوسائل الأخرى في الوصول إلى هذه النوعية من الجماهير مكلف للغاية [2]، وتصدر الصحيفة أخبارا متنوعة وتهتم أكثر من سواها من وسائل الإعلام بالقضايا السياسية والاجتماعية ومناقشتها وعرض وجهات النظر المختلفة بين أصحابها كما تهتم بطرح القضايا الاجتماعية كقضية الجنس والجريمة والعنف التي تؤثر بلا شك في القيم الأخلاقية والثقافية للأفراد وخاصة الشباب منهم وهذا ما قد يؤثر سلبا على اتجاهاتهم وشخصياتهم وبالتالي انحرافهم، وموضوعات الجنس " أمثال العلاقات الجنسية، ليلة الزفاف، وقصص الإجرام وغير ذلك)، مثيرين بذلك دوافع الإنسان وحاجاته المختلفة في صورتها البدائية، ومثيرين كذلك خيال المراهق وانفعالاته وحبسه كثيرا في عالم من أحلام اليقظة ... مما قد يغريه إلى تجربة وممارسة ما يقرأ ، أو مما يشوه أفكاره عن تلك الموضوعات، أو مما يزوده بمعلومات وأفكار مضللة خاطئة عنها وعما تنطوي عليه من علاقات إنسانية مختلفة، بحيث إذا وجد في أي موقف من تلك المواقف قفزت إلى ذاكرته تلك الأفكار والمعلومات التي يقرأها والتي قد تعرضه للاضطراب والقلق النفسي والزلل والخطإ والانحراف، و" يرى البعض أن الصحافة تشجع الجناح لأنها تعرض تفاصيل الجرائم بصورة تكشف عن أساليب ارتكابها مما يؤدي إلى تعلم هذه الأساليب، ولأنها تظهر الجريمة كما لو كانت أمرا شائعا بين الناس، ولأنها تجعل للجريمة جاذبية وإثارة لدى الأحداث، ولأنها تصور الجريمة كما لو كانت أمرا مربحا ولأنها تضفي على المجرم مكانة وتقديرا مما يثير في نفس الأحداث العطف على المجرمين ويزكى في نفوسهم عبادة بطولة المجرم ...و لأنها تركز اهتمامها في نشر قصص الجرائم الجنسية وجرائم العنف والمسلسلات البوليسية " [3].

([1]) نفس المرجع، ص 181 .

([2]) نفس المرجع، ص 182 .

([3]) محمد عارف، المرجع السابق، ص 604.

و خلاصة القول إن السينما والإذاعة والنشر وغيرها من وسائل الإعلام يمكن أن تكون سلاحا ذا حدين، فهي من ناحية قد تكون وسيلة نافعة من وسائل الثقافة والرقي بالذوق العام للأفراد والجماعات، وكذلك الرقي بقدراتهم وأفكارهم واتجاهاتهم وهواياتهم واهتماماتهم الاجتماعية والثقافية والفنية بحيث تعود بأكبر النفع على الفرد والجماعة من تماسكه ورقيه وسعيه إلى تحقيق أهدافه وسعادته .

وهي من ناحية أخرى إذا أهملت وأسيء استخدامها ولم توجه التوجيه الصحيح لصالح الفرد والمجتمع فإنها قد تصبح سلاحا هداما يساعد على الانحلال بدلا من التماسك، وعلى الجمود والتخلف بدلا من الرقي، وعلى الصراع والانحراف والجريمة بدلا من التعاون والعمل النافع المثمر لحاضر الأمة ومستقبلها [1] .

وأخطر هذه الوسائل الإعلامية أيضا الغزو الفضائي الذي يمثله ذلك الكم الهائل من القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، فهي وسيلة جديدة وسريعة لاختراق حدودنا وهويتنا وضمائرنا ، إنها تسعى لاقتلاع القيم الأصيلة من جذورها ، وإحلال القيم الغربية مكانها والقنوات الفضائية الغربية تملك من الإمكانات ووسائل الإبهار والجذب والمغريات ما يمكنها من الدخول إلى نفوس أكبر عدد من المشاهدين الذين يكونون عرضة لبث قيم وأفكار تشكل تهديدا للهوية والثقافة الإسلامية ، فالأطفال والشباب أيا كانت أعمارهم يتعرضون عن طريق البث الفضائي الغربي لمؤثرات خطيرة تحدث هزة عنيفة في القيم والمبادئ الإسلامية لديهم .

وتعد شبكة الإنترنت من أخطر الوسائل التي تنشر ثقافة وعادات الفكر الغربي وتقديم معلومات التي كثيرا ما تفتقر إلى الصدق والموضوعية والأمانة العلمية ، كما تنشر القيم والمفاهيم تؤثر على المسلم بصورة سلبية في ظل وجود منظمات إباحية تدعو إلى الانحلال الخلقي والرذيلة .

و لأن القنوات الفضائية في الدول العربية والإسلامية تجد نفسها في منافسة غير متكافئة مع القنوات الأجنبية ، فإن هذه القنوات الأجنبية تبث سمومها دون تقديم البديل

([1]) سعد المغربي، المرجع السابق، ص 171.

الذي يحد من تأثيراتها ، وتهتم القنوات الفضائية بالأسرة المسلمة وبخاصة الأم لأن في إفسادها إفسادا لكل أفراد الأسرة ، فهي تقدم كل ما يؤدي إلى انحراف هذه الأسرة ، والسيطرة عليها بواسطة تبنيها للثقافة الغربية بصورة غير مباشرة كالتقليد في اللباس ، الأكل ، طريقة تسريحة الشعر...إلخ ، إذن فهذه القنوات تعد خطرا مدمرا للأسرة المسلمة بما فيها الأسرة الجزائرية وما تتركه من آثار سلبية ضارة بسلوك الأفراد واتجاهاتهم النفسية والاجتماعية.

خامسا : دور وأهمية وسائل الإعلام

أ- في إمداد الفرد بالمعلومات: نود في البداية أن نتفق مع ما ذكرته جيهان رشتى بأننا نتحدث عن كيفية وصول المعلومات إلينا ، فإذا كانت عن طريق وسائل الإعلام فلا بد أن نعترف أن لهذه الوسائل تأثيرا هاما ، سواء أكانت معلومات الفرد عميقة أو ضحلة ، واسعة أو ضيقة ، حيث نحصل على معلومات عن الناس والمشاكل والأحداث أساسا من وسائل الإعلام ، ويزيد التعرض لوسائل الإعلام من معلومات الفرد ، فمن المعروف أن الأفراد يخصصون في المتوسط لوسائل الإعلام ما لا يقل عن ست ساعات يوميا ومن المحتم أن تعرض الفرد يوميا لهذه الوسائل لست ساعات يجعله يأخذ قدرا كبيرا من المعلومات منها ويحتفظ بها [1].

ولقد أوضحت العديد من الدراسات الميدانية العربية والأجنبية أن التعرض لوسائل الإعلام يزيد معلومات الفرد بصفة عامة ، والطفل بصفة خاصة ، فالطفل لا يجلس سلبيا أمام جهاز التلفزيون مثلا ، وإنما كما شبهه هوقمان كقطعة الإسفنج التي تمتص كل ما تتعرض له [2].

إن وسائل الإعلام المتعددة تمد الطفل بالمعلومات وهي تختلف من حيث وظيفتها الإعلامية ومن أثرها وخاصة إذا قيست المدة التي يقضيها الطالب في المدرسة حيث التعلم القصدي واعتبرناها لمدة أربع أو خمس ساعات ، فإن وسائل الإعلام تلاحقه أينما

([1]) عاطف عدلي العبد ، المرجع السابق، ص 226 . نقلا عن : جيهان أحمد رشتى، الأسس العلمية لنظريات الإعلام . القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ص ص 622 – 623 .

([2]) نفس المرجع، ص 226 .

ذهب ولهذا يفوق أثرها في الطفل أثر المدرسة فيه، ولذلك يكتسب التلفزيون أهمية خاصة بين وسائل الإعلام المختلفة حيث يتميز بأهمية خاصة عند الطفل لأنه جهاز قادر على الترفيه والتثقيف في وقت واحد، ومن ثم يؤثر على عقلية الطفل ووجدانه ويعتبر أداة هامة للتعليم المباشر إذ ينقل إلى الفرد المعلومات والمعارف والأخبار المحلية والعالمية، ويقدم له الكثير من عادات وتقاليد الجماعات والمجتمعات المختلفة، وتزداد أهمية التلفزيون في مجال تثقيف الطفل لأنه يجذب انتباه الأطفال من سن سنتين تقريبا، ويقضي الأطفال فترة طويلة في مشاهدته من ناحية، واحتل مكان باقي وسائل الإعلام من ناحية أخرى[1]، إن التلفزيون كوسيلة بصرية سمعية يمثل 88 % في تحصيل المعرفة البشرية، حيث تلعب الصورة دورا كبيرا في الإدراك الحسي للمعلومات اللفظية التي تصاحبها[2]، وتساعد أخبار التلفزيون المواطنين على معرفة الأحداث والوقائع خلال ساعات وربما دقائق من وقوعها، بل وفي وقت وقوعها أحيانا .

" ويتفق عدد من الباحثين على أن المعلومات التي تتاح للجمهور من خلال وسائل الإعلام تساعد على نشر الأفكار الجديدة بينهم وأن هذه الوسائل تؤدي دورا جوهريا في التحضر والتحول الاجتماعي من المستوى التقليدي إلى المستوى العصري مما يؤدي إلى دفع عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويساعد على رفع مستوى المعلومات بين الجمهور " [3].

كما تساعد وسائل الإعلام على توعية الأفراد وتثقيفهم وإمدادهم بكل الأخبار والمعلومات الضرورية من أخبار اجتماعية، سياسية، اقتصادية وحتى عسكرية، وثقافية، كما تزود الفرد بالأفلام والمسلسلات والأشرطة التربوية والرسوم المتحركة والألعاب ...إلخ من معلومات يحتاجها الفرد في حياته اليومية وتساعده على ملء فراغه اليومي، " ومع التقدم العلمي والتكنولوجي أصبح الإعلام أكثر قدرة على إحاطة الفرد والجماعة بما يجري حولهم من أحداث وتطورات على مستوى العالم ومع إزدياد أعداد

([1]) نفس المرجع، ص 227 .

([2]) نفس المرجع، ص 228 .

([3]) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير . القاهرة، الأنجلو المصرية، 1919، ص 422.

الناس زاد الاعتماد على وسائل الإعلام في نقل المعلومات كما أن ازدياد حجم المعلومات ومصادرها وضيق وقت الناس واتساع أعمالهم أظهر قيمة الإعلام وحاجة الناس إليه للتغلب على المصاعب وفهم كل ما يدور حولهم والتفاعل مع البيئة والمجتمع بشكل أفضل فالإعلام يزود الفرد بالنظريات والاكتشافات ويبسط له كل ذلك، وساهم الإعلام في تنمية الوحدة الثقافية ونقل الثقافة بين المجتمعات وبين مختلف الأجيال، كما يتصدى الإعلام الحديث الصادق للخرافات والأوهام ويزود الناس بالمعلومات الصحيحة الصادقة " [1].

ب- دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب والجنس : يدفع تعدد الدراسات وتناقضها في مجال دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب إلى أخذ نتائجها بالحذر، حيث إن معظمها انتهت إلى احتمال أن يدفع العنف على الشاشة إلى عمل مشابه في واقع الحياة بينما أوضحت بعضها أن ذلك يحدث في نطاق ضيق وظروف محددة، بل يرى البعض ومنهم هالوران أنه مما يدعو إلى السخرية اتهام وسائل الإعلام بأنها مسئوولة عن المشاكل التي تتضمنها ومن السخف أن نجعل التلفزيون كبش الفداء لأمراضنا الاجتماعية، لأن التلفزيون ليس السبب الرئيسي لنشر العنف بين أفراد المجتمع حيث يقدم برامجه في وسط بيئة اجتماعية معقدة يدخل في تشكيل القيم والسلوك الأخلاقي فيها عناصر وعوامل عديدة، ويجب أخذ هذه العوامل في الحسبان عند دراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب [2]، ويتضح من الاطلاع على أهم الأدبيات في هذا الموضوع زيادة الشكوى من العنف في أجهزة الإعلام منذ الثلاثينات حين ظهر ما سمي بعنف هوليود الجديد الذي ساد محتوى الأفلام في تلك الفترة، وبانتشار مشاهدة التلفزيون توجه الاهتمام إلى الأفلام والمسلسلات التي تعرض مشاهد عنف باعتبارها تساعد لا شعوريا على ارتكاب أعمال القسوة والتدمير والعنف [3].

([1]) عبد الرحمن محمد المبيضين، المرجع السابق، ص 15 .

([2]) عاطف عدلي العبد، المرجع السابق، ص 261 .

([3]) نفس المرجع، ص 261 .

ومما يلفت النظر ويثير القلق وتتوافر فيه أدلة التكرار الواسع لأعمال العنف في وسائل الإعلام من ناحية والإثارة التي تتضمنها البرامج والمضامين التي تتضمن العنف من ناحية أخرى، مما دفع إلى تزايد الاهتمام بدراسة آثار العنف في وسائل الإعلام على المجتمع عامة والشباب والأطفال خاصة، وأجريت منذ الثلاثينات آلاف الدراسات وعقدت مئات المؤتمرات والحلقات الدراسية لمناقشة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب بينما توجد دراسات قليلة جدا في المكتبة الإعلامية العربية في هذا المجال [1]، ومازال النقاش حول تأثير وسائل الإعلام على جمهورها، ومعظمه حول تأثير التليفزيون في نشر العنف والرعب، وشارك في هذا النقاش بإبداء الآراء أو إجراء الدراسات الباحثون الإعلاميون والاجتماعيون ورجال الإعلام والقضاء والصحة النفسية والسياسة ولعل من يرى حجم العنف والرعب وأفلام الجنس التي تتزايد أعدادها يوما بعد يوم وتدخل المنازل من خلال بعض القنوات الفضائية يندهش من معارضة الأمريكيين عام 1868 لعرض فيلم الأرملة جونز لاحتوائه على قبلة واحدة ! ! ومن البدايات الهامة لدراسة دور وسائل الإعلام في نشر العنف والرعب الاستقصاء الذي أعدته لجنة السناتور إيستس كيفوفر الفرعية عام 1952 حول جنوح الأحداث واتهمت الشهادات التي أدلى بها الخبراء التلفزيون بأنه مسئول ليس فقط لأنه يعرض العنف ولكن يحث الأحداث على تقليده وتلي ذلك دراسة عام 1954 تبين منها أن 70 % من الآباء يلقون باللوم على قصص الجريمة وبرامج العنف ويرون أنها وراء ظاهرة جناح الأحداث [2]، وفي عام 1964 أصدرت اللجنة التحقيقية البرلمانية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي إنذارا لأصحاب صناعة الإعلام التلفزيوني للحد من العنف وكما قال دود رئيس اللجنة أن ما يعرضه التلفزيون الأمريكي من مشاهد إجرامية زادت بنسبة 200 % خلال السنوات العشر الأخيرة، وأن 25 مليونا من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن الثانية عشرة يتعرضون لمثل هذه الطاغية يوميا وفي عام 1975 منعت حكومة المكسيك أكثر من 30 برنامجا وفيلما لامتلائها بالعنف وساد الخوف من أن يحدث ما انتهت إليه إحدى الدراسات من

([1]) نفس المرجع، ص ص 261 – 262 .

([2]) نفس المرجع، ص 264 .

أننا يجب ألا نتعجب عندما نجد أفرادا يستخدمون العنف أساسا لحل مشكلاتهم الشخصية ما داموا يرون كل يوم مشاهد حية بها موظفون رسميون يستخدمون العنف في تعاملهم مع مشكلات المجتمع [1]، ولهذا فعلى جميع الحكومات العربية أن تعيد النظر في البرامج التلفزيونية وأن تضع قواعد وضوابط تحكمها وفقا لقيم المجتمع، وهذا لخطورة تلك البرامج ومدى تأثيرها على سلوكات الأفراد وجرهم إلى طريق الانحراف وارتكاب الجرائم وهذا تقليدا لما يشاهدونه في التلفاز من برامج مخلة بالحياء، وهدفها الرئيسي نشر العنف والرعب بين أوساط المجتمع .

فمازالت السينما والتلفزيون من أهم وسائل الترفيه والتسلية عند شبابنا، فهاتان الوسيلتان تعتبران عاملا مساعدا على انحراف الأبناء، حيث نجد أن الأطفال في الكثير من الحالات يقلدون الشخصيات البطولية في الأفلام والمسلسلات المعروضة في التلفزة، وخصوصا الشخصيات ذات الطابع العنيف أو العدواني كقيام البطل بقتل أحدهم أو القيام بالسرقة أوالنهب أو السطو ...إلخ، فالشاب نجده يقلد تلك الشخصيات ويجسدها على أرض الواقع مما يؤدي به إلى ارتكاب جرائم معينة تقوده إلى السجن، وهذا كله نجده في غياب الرقابة الوالدية وتوجيه الأولياء لأبنائهم .

([1]) نفس المرجع، ص 265 .

نظرية الثقافة والعولمة

قراءة في مشروع أنطوني كينج (Anthony king)

مقاربة نسقية

د / لخضر قريشي- المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة

تمهيد

يتسع الاهتمام بإشكالية (الثقافة والعولمة) قديمه وحديثه، حيث يتشعب ويتشتت بناء على تعدد المقاربات والمنهجيات، كتحليل المدخلات والمخرجات. فإذا كان البعض يركز على أسئلة الاقتصاد العالمي والشركات المتعددة الجنسيات في إطار عولمة رأس المال، والتطور المصاحب للأسواق المالية على المستوى الدولي. ركز آخرون على التغير الاجتماعي وإعادة بناء وتشكّل الهويات والخصوصيات الثقافية . بينما اهتمت الفئة الثالثة بتحليل المنظور القانوني وذلك بالبحث في التناقضات الناتجة عن العولمة، وذلك من خلال الاختلاف في بنية الأنظمة القانونية والسياسية من جهة، وصعوبة تحديد مفهوم دقيق وواضح لإشكالية (العولمة)، وبالرغم من الاختلاف بين المنهجيات في مقاربة مفهوم (العولمة) يبقى أنّه يثير الجدل نظرا لشساعة مجاله المعرفي والممارساتي، وتفاوت الباحثين في ضبط دلالاته، فهو يندمج دائما في الصراعات والنزاعات والتوازنات التي يشهدها العالم، وهذا ما رشحه كمفهوم ينبغي التعاطي معه وفق قراءة شمولية لا تلغي القراءات الأخرى، بقدر ما تعتمدها في التحليل والمساءلة والفحص . فهدفها دائما التحليل بمنهجية متعددة المستويات .

إن مرحلة الإنصات والتخير قادتنا إلى اختيار موضوع (نظرية الثقافة والعولمة . قراءة في مشروع أنطوني كينج [*]) فهو أستاذ (تاريخ الفن وعلم الاجتماع) بجامعة (نيويورك) حيث يجمع بين (نظرية الفن) من جهة، و(النظرية السوسيولوجية) من

(*) هذه المقاربة، هي عبارة عن محاضرة كانت قد ألقيت في فعاليات الملتقى الوطني الأول، تحت عنوان : **العولمة وحقوق الإنسان** . المنظّم من قبل كلية العلوم القانونية والإدارية، بجامعة المدية، أيام : 6/7/8/ماي/ 2008 م .

جهة أخرى . وله العديد من الإسهامات في حقل الثقافة، نذكر منها : (إعادة تصور المدينة) وهو بحث في العرقية ورأس المال والثقافة، وكذلك كتاب (الثقافة والعولمة والنظام العالمي) . الذي شكّل مدونة بحث هذه المقاربة، ومن أجل التواصل مع هذا المتن، سارت المقاربة وفق المتواليات الآتية :

1- نظرية الثقافة
2- مشروع أنطوني كينج
3- نظرية الثقافة وإشكالية العولمة (تحليل نسقي)

إن كل مفهوم سابق هو في حقيقة الأمر، منظومة قائمة بذاتها، لذا سيكون من الشطط والاختزال محاولة لملمة كل العناصر سالفة الذكر في هذا السياق، لكن مادام المقام لا يسمح ببسط أكثر يصبح لزاما التواصل مع العناصر السابقة وفق ما تمليه الظروف .

1- نظرية الثقافة

عندما نتحدث عن الثقافة لا بدّ من التأكيد على حضور عنصر آخر ملازم لها، إنّه المجتمع، لأن الثقافة لا تستقيم إلا في حضور هذا الأخير، أي المجتمع، فهي التي تمدّه ((بالأدوات اللازمة لاطراد الحياة فيه، لا فرق في ذلك بين الثقافات البدائية والحديثة))[1] فالأساليب والعقائد والقيم التي يسير عليها النّاس في حيواتهم، تعتمد على طبيعة الثقافة المنتشرة في أوساطهم . ومن هنا يتجلى عنصر الثقافة كمحور رئيس ينبغي تحليله وفهمه وربطه بغيره من العناصر المشكلة لبنية المجتمع، وعلى هذا حاول علماء الاجتماع منذ القديم تفكيك هذه البنية وفق ما توفر من منهجيات وآليات . لذا نجد أقدم التعريفات للثقافة، تعريف (إدوارد تايلور) الذي يعتبر أن الثقافة هي: ((كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع))[2] حيث أظهر التعريف السابق أن للثقافة جانبين :

1- الجانب المادي: أي كيف تتجلى الثقافة سلوكيا وماديا؟

([1]) مجموعة من الكتاب : نظريّة الثقافة . ترجمة : على سيد الصاوي . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت . ع223 . يوليو / تموز 1997 .ص 8 .

([2]) المصدر نفسه : ص 9

2- الجانب اللامادي: كالأخلاق، والقانون، والعرف... حيث يتفاعل الناس في المجتمع، فتتجسد السلوكات والعادات والفنون نتيجة الحراك الاجتماعي، فلولا هذا الأخير لما تكونت ثقافة، ويمكن أن نضيف تعريفا آخر لمفهوم الثقافة، إنه تعريف أحد علماء الاجتماع المحدثين (روبرت بيرستد) الذي يؤكد بقوله : **((إنّ الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نتملكه كأعضاء في مجتمع))**[3] فالفكر والسلوك والمادة عناصر أساسية تدخل في بنية كل ثقافة، وذلك –طبعا- من خلال التفاعل الاجتماعي، الذي يتحدد بناء على خصوصية كل مجتمع، فالقيم والمعتقدات والأعراف والمعايير والرموز والأيديولوجيات والإنتاج الفكري، والعلاقات التي تحرك الأفراد وتوجههم في حيواتهم كلّها عوامل تشكل بنية الثقافة، ومن أجل فهم هذه البنية يركز علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا على تحليل العناصر الآتية :

((1- التحيزات الثقافية
2- العلاقات الاجتماعية
3- أنماط أو أساليب الحياة

واضح أنّها ظواهر أو عناصر مرتبط بعضها بالبعض في الكل المركب للثقافة، فالتحيزات الثقافية تشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس، والعلاقات الاجتماعية تشمل العلاقات الشخصية التي تربط الناس بعضهم بالبعض الآخر، أما نمط الحياة فهو الناتج الكلي المركب من الانحيازات الثقافية والعلاقات الاجتماعية))[4] هذا عن بنية الثقافة، لكن ماذا عن نظرية الثقافة؟

عندما نتحدث عن نظرية للثقافة، ينبغي التنبيه إلى أن النظرية تسعى دائما إلى دراسة وتحليل وفحص الثقافة، فالنظرية هي الأدوات والآليات والمنهجيات التي يشتغل بها علماء الاجتماع وذلك من خلال مستويات، نذكر منها:

1- البحث في المنشإ المتعلق ببنية الثقافة، ثمّ إن أسئلة المنشإ تختلف باختلاف كل مجتمع .

([3])المصدر نفسه : ص 10/9

([4]) المصدر نفسه : ص10

2- المستوى الثاني، يبحث في بقاء واستمرار ونمو وتغير الثقافة، فلماذا تبقى ثقافة ما وتختفي ثقافة أخرى ؟ وما هي عناصر البقاء والفناء في الثقافات، فهذه الأسئلة تجيب عنها نظرية الثقافة .

3- يهتم هذا الجانب، في كيفية التفعيل والمحافظة على أنماط الحياة في أبعادها الثقافية في مجتمع ما، ولماذا تفشل بعض المجتمعات في المحافظة على الأنماط الثقافية [5] الخاصة بها ؟

إن الثقافة تعليم وتربية، فهي ((مكتسبة وليست محمولة بيولوجيا، فهي تسمى أحيانا (الموروث الاجتماعي) أو (المخزون الثقافي) ونظرا إلى قدرات الإنسان المبدعة فهو لا يكتفي بالتعلم واكتساب الثقافة فقط، بل يضيف إليها أشكالا سلوكية مختلفة))[6] وعليه فمصادر الثقافة متنوعة وغنية وثرية لأنّها متغيرة في أحيان كثيرة وقابلة لإعادة التشكل من جديد، كما أنّها قابلة للاختراق والتعدد كلما اختلف الشخص والمكان .

فسلوك ما قد يفسر عند فئة على أنّه من قمة الحضارة، لكن في مجتمع مغاير قد يفسر على أنّه من قمة النذالة ؛ وتفسير ذلك أن السياق الثقافي قد تغير، فتغيرت معه المعطيات . لذا فالثقافة فيها الطابع الإلزامي من جهة، والطابع الاستقلالي من جهة أخرى . وعليه نتساءل عن مصادر الثقافة، وكيف يمكن قياس مؤشراتها ؟

إن المؤشرات التي على ضوئها تتحدد مصادر الثقافة، يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

1- 1- الدّين: يمثل الدين ثقافة كاملة، لأنه يقدّم للإنسان رؤية حول الكون وما وراءه، فهو يحدد نماذج روحانية في حين يرفض نماذج أخلاقية أخرى [7].

1. **القيم الثقافية:** إن تحديد مفهوم دقيق للقيم يبدو صعب المنال، بيد أنّ علماء الاجتماع يؤكدون على أنّ القيم ((هي دائما قيم مجتمع مخصوص، إنّها المثل التي تتخذها جماعة من الجماعات وتنتسب إليها، فالقيم والحالة هذه خاصة بمجتمع بعينه

([5]) المصدر نفسه : ص 10

([6]) عبد الغني عماد : سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . لبنان . ط1 . شباط / فبراير 2006 . ص115 .

([7]) المصدر نفسه : ص 138

وبفترة زمنية تاريخية ؛ لأن القيم تتغير في الزمان وتتغير من مجتمع لآخر))[8] وهي غير ملزمة ربّما إذا تغيرت الفترة والمكان .

2. **العادات والأعراف:** تنقسم العادات إلى فردية وأخرى جماعية، فإذا كانت الفردية ملزمة للفرد وحده، فإن العادات الجماعية نشأت ((تبعا لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية، إنّها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك))[9]

3. **التقاليد والشعائر والطقوس:** إن مفهوم التقاليد والشعائر والطقوس من الناحية السوسيولوجية يوحي بارتباط ((الإنسان الاجتماعي بتراثه المادي – الروحي ؛ ومحاولته بعثه من جديد عن طريق إعادة إنتاجه ماديا أو روحيا بإقامة الاحتفالات المعبرة عن مناسبات معينة، فترتدي في كل احتفال منها طابعا خاصا به، وأنواعا معينة من السلوك الطقسي والرمزي غالبا ما يكون غير مفهوم أو غير مفكر فيه، فيأخذ طابعا شعبيا ومنحى فولكلوريا ينتهي عادة بانتهاء المناسبة الاحتفالية، إلا أنه يبقى راسخا في وعي أو لاوعي الجماعة التي تتناقله جيلا عن جيل، وتشعر نحوه بقدر كبير من التقديس، وترى أنّه من الصعب، بل من المستحيل العدول عنه، وهذا ما يميزها (التقاليد) عن العادات . والتقاليد بهذا تمثل عناصر الثقافة التي تنتقل من جيل إلى جيل عبر الزمن وتتميز بوحدة أساسية مستمرة وهي نمط سلوكي يتميز عن العادة بأن المجتمع يقبله عموما دون دوافع أخرى، عدا التمسك بسنن الأسلاف))[10]

4. **التراث الشعبي والفولكلور:** يتمظهر التراث الشعبي من خلال عدّة بنى : كالفولكلور، الموروث الثقافي، المعتقدات الشائعة، الخرافة، الأساطير[11] ... إلخ . فكلها تشكل المخيال الفردي – الجماعي .

([8]) المصدر نفسه : ص 140

([9]) المصدر نفسه : ص153

([10]) المصدر نفسه : ص155/ 156

([11]) المصدر نفسه : ص 158

2- مشروع أنطوني كينج

يتجسد مشروع (أنطوني كينج) من خلال كتابه المعنون بـ (الثقافة والعولمة والنظام العالمي) وكما هو واضح يتساءل القارئ بداية كيف يمكن الجمع بين الأنساق الثلاثة:

1- نسق الثقافة

2- نسق العولمة

3- نسق النظام العالمي

يعترف (أنطوني كينج) كغيره من القراء بهذه الملاحظة المنهجية، حيث إنّ لكل مفهوم سابق دلالات خاصة قد لا تنسجم بالضرورة مع المفهومين الآخرين، فإذا كانت الثقافة هي خاصية تمتلكها كل الشعوب، والعولمة هي عملية متطورة، فإن النظام العالمي يشكل بنية زيادة على أنّ كل نسق سابق هو منظومة قائمة بذاتها.

فالثقافة تتجسد بشكل واضح من خلال اللغة والطقوس والدين ونمط البناء والعمران ... إلخ، بينما النظام العالمي، هو الاقتصاد العالمي، فاللغة يمكن لها ((أن تلتقط سمات ثقافة الاقتصاد العالمي الرأسمالي))[12]، أما العولمة فيحددها (أنطوني كينج) من خلال المفهوم المكاني، أي ثنائية (القرب / البعد) من المركز، حيث تتمركز الأشكال التعبيرية والتأثيرات ورؤوس الأموال في أمكنة محددة من العالم، لذا ف ((العولمة ليست عملية تتم في اتجاه واحد، كما أنّها لا تأتي من مصدر واحد، وعلاوة على ذلك لا تحظى آثارها بتوزيع متساو في وضع عالمي يتسم بالتفاوت البين في التطور))[13] ومن أجل فهم أعمق للعناصر السابقة ينبني الكتاب على عدّة تصورات، فهو موزع على مقالات ساهم في إعدادها نخبة من المفكرين، بالتنسيق مع (أنطوني كينج)، حيث يمكن أن نذكر المتواليات التي سارت عليها التصورات، وهي وفق المنطق التالي:

1- فضاءات الثقافة، فضاءات المعرفة. أنطوني كينج

2- المحلي والعالمي : العولمة و الإثنية. ستيوارت هول

([12]) أنطوني كينج : الثقافة والعولمة والنظام العالمي . ترجمة : شهرت العالم . هالة فؤاد . محمد يحيى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر . 2005 . ص 28 .

([13])المصدر نفسه : ص11

3- هويات قديمة وجديدة، إثنيات قديمة وجديدة. ستيوارت هول

4- النظرية الاجتماعية، والنسبية الثقافية، ومشكلة العالمية. رولاند روبرتسون

5- القومي والعالمي : هل يمكن أن توجد ثقافة عالمية ؟ إيمانويل والرشتين

6- سيناريوهات ثقافات الأطراف. أولف هانرز

7- سؤال لنظريات العولمة، ما بعد الثرثرة حول العالمية. جانيت أبولغد

8- لغات ونماذج للتبادل الثقافي. باربارا أبو الحاج

9- الخصوصية والثقافة. مورين توريم

10- العالمي، الحضري، والعالم. أنطوني كينج

11- العولمة، والنظرة الشاملة، والمجال الخطابي. جون تاج

12- العالمي والمعين (المخصص): التوفيق بين نظريات الثقافة المتعارضة. جانيت وولف

من بين الأسئلة التي يطرحها (أنطوني كينج) تلك المتعلقة بالعولمة، حيث يمكن أن نذكر بعضا منها :

((- هل تتضمن العولمة بداهة قضية الاتصال المتبادل ؟ (...)

- و هل تتضمن التجانس الثقافي، والتزامن الثقافي، أو التوالد الثقافي ؟

- وماذا نقول فيما يتعلق باتجاه التدفقات الثقافية ؟

- و هل هي نتاج تفاعل المحلي والعالمي ؟))[14]

ومن أجل تحليل الأسئلة السابقة، ينبغي تحديد اختيارات وآليات التحليل بقدر كاف، قصد تجنب الاختزالية والعمومية، لذا راح (أنطوني كينج) يوسع من خيارات المقاربات بدل تقديم الحلول الجاهزة، ومن أمثلة ما يؤكد عليه صاحبنا ما يلي :

1- إن الثقافة ينبغي أن تبحث تاريخيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ومكانيا بصورة تخصصية جدّا على النطاق العالمي.

2- عند إلقاء نظرة شاملة شديدة العمومية على العولمة تحجب الاختلاف على النطاق المحلي والإقليمي أو القومي ... وعليه فبدلا من النظر في العمليات والتطورات من

(14) المصدر نفسه : ص 30

القمة إلى القاعدة، ومن المركز إلى الهامش، ربّما يمكننا أن نعي المسألة بشكل أفضل لو نظرنا إليها من القاعدة إلى القمة أو (من الوجهة النقيض)، أو اللامركزية.

3- إن تصورات مثل (الغرب) و(العالم الثالث) و(العالم الأول) و(المركز والهامش) أنتجت دوما في الخطاب باعتبارها أبنية مصبوغة بصبغة إيديولوجية[15] .

إن مشروع (أنطوني كينج) ساهم في إعداده مجموعة من الباحثين يجمعهم أمر واحد هو: ضرورة تفعيل البنية الثقافية، ذات الخصوصية المحلية.

لذا نجد (ستيوارت هول) يشير إلى ((أن البشر يمتلكون هوّيات ثقافية متنوعة، أضف إلى ذلك أن المرء يسعى خلال الحياة (ملتقطا) للهويات، بهذا المعنى، يغدو بناء الهوية أمرا لا يكتمل أبدا، ولا ينتهي))[16] وهذا ما يجعل البنية الثقافية عاملا جوهريا في بناء الأفراد والمجتمعات، وعليه ينبغي الترويج لها وفق مبدإ الحوار والاتصال المتبادل .

يتأسس مشروع (أنطوني كينج) في بنيته المعرفية انطلاقا من مجهود (بيير بورديو) السوسيولوجي الفرنسي، فهو يستدعيه من أجل تحديد مفاهيم الثقافة، خاصة مفهوم (المأوى العام)، حيث يقول: ((إن العالم المادي يشكل ما هو ذهني، والذهني يشكل المادي، والثقافات تتكون في المكان وتحت ظروف اقتصادية واجتماعية محددة، وهي تبنى ماديا واجتماعيا كما تبنى اجتماعيا سواء فيما يتصل بالأسس الاقتصادية لحياة الناس والأقاليم والأمكنة التي يسكنونها أو درجات الفروق بينهم أو المعاني الرمزية للعالم الذي يخلقونه أو الطريقة التي يصورون بها أنفسهم من خلال بيوتهم أو العلامات المرئية التي يستخدمونها لنقل المعاني وتوصيلها، فهذه كلها جزء مما يشير إليه بورديو بالمأوى العام. أي نظام من التوجيهات وطريقة المعيشة، والأبنية والفضاء التي تشكل البيئة أكثر من مجرد تصوير للنظام الاجتماعي أو مجرد بيئة تجري فيها العلاقات والأفعال الاجتماعية، إن الشكل المادي والمكاني يكوّن الوجود الاجتماعي والثقافي كما يعبر عنه، والمجتمع يتشكل إلى حدّ كبير من خلال المباني والفضاءات التي يقيمها، وفي

([15]) المصدر نفسه : ص 31/30

([16]) المصدر نفسه : ص 34

تناولي لموضوع الهويات تعدّ البيئة المبنية للفضاء والمكان عاملا حيويا وحاسما من شأنه أن يعوق بقدر ما يسهل الجديد بجانب بناء الهويات الاجتماعية))[17]

إن مفاهيم مثل (الحقل) و(الرمزية) و(الرأسمال الرمزي) ... وغيرها تحضر بقوة في نظرية (بيير بورديو) السوسيولوجية، الذي يقول : ((الرأسمال عمل متراكم (بشكل مجسد أو متقمص) يجعل المالكين قادرين على أن يمتلكوا الطاقة الاجتماعية على شكل عمل مشيإ أو حي، وذلك عندما يكون موضوع امتلاك خصوصي)) [18]، لذا اعتمد (أنطوني كينج) على هذا الملمح في بناء منظومته المعرفية، فهو يستعير ويستدعي مفهوم (بيير بورديو) حول (المأوى العام) الذي هو بنية من الآليات والتوجيهات أو هو (الجهاز الاجتماعي) التوجيهي لطريقة العيش والتحرك داخل نسق المجتمع، لكن (أنطوني كينج) لا يكتفي بنظرية (بيير بورديو) بل يتوسع إلى (إيمانويل والرشتين)، حيث يقول : ((ولعلنا نأخذ أحد الأسئلة التي طرحها إيمانويل والرشتين كيف ترسم الحدود حول ثقافات بعينها ؟))[19]

يعتبر (أنطوني كينج) أن المتحكم المحوري في رسم الحدود حول الثقافات، والثقافات الفرعية هي سلطة البنية (الاقتصادية السياسية والاجتماعية) والذي يتحكم في إدارة هذه البنية هو :

1- سلطة الدولة
2- سلطة السوق
3- سلطة الجماعة العرقية
4- سلطة الناس المقيمين داخل هذه النطاقات أو خارجها .

إن من بين الملاحظات التي يسجلها (أنطوني كينج) وهو يتتبع عمل زميله (هانرز) قوله : ((لفت اثنان أو ثلاثة من المتحدثين انتباهنا إلى دور الدولة كمنظم رئيسي

([17]) المصدر نفسه : ص 222

([18]) بيير بورديو . ج . د . فاكونت : أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاسي . ترجمة : عبد الجليل الكور . دار توبقال للنشر . الدار البيضاء . المغرب . ط1 . 1997 . ص 84 .(انظر الهامش)

([19])أنطوني كينج : الثقافة والعولمة والنظام العالمي . ص 222

للثقافة بل امتدحوا هذا الدور وقدّروه، ويجدر بالذكر أنّه بينما يلاحظ (هانرز) تقوية الهوية القومية في الأطراف يشير (هول) إلى تآكلها في المركز (...) إن معظم الدول القومية (والكثير من جماعات الأقلية كذلك) تسير الآن لتخليق ثقافات منفردة خاصة بها، وهم يستوردون التعريفات الغربية (بما فيها الأنثروبولوجية) عن ماهية الثقافة، كما يستوردون الأساليب الفنية الغربية لمعالجة ثقافاتهم المختلفة ، وهم يروجون (صورة الذات الثقافية) الخاصة بهم على المستوى الدولي في سعي لاجتذاب السياحة مرتفعة العائد اقتصاديا، وباختصار يريد الجميع عرض ثقافاتهم في متاحفهم، ويدل هذا كلّه على أن الحداثة لم تغز العالم فحسب بل أعلنت عن نشأة المجتمع العالمي (لما بعد الحداثة) ذي الثقافة المختلفة والوقائع والمشاهد المزيفة))[20] يظهر المشهد النقدي السابق عدّة إشكاليات، فبدل أن يتجه التحليل نحو اقتراح الحلول راح (أنطوني كينج) يوسع طرح الإشكاليات وهذا ملمح مهم ويعبر عن قوة حضور النطاق الفكري الذي يشتغل ضمنه الباحث ؛ فالعالم اليوم يشهد ثورة قوية في الميدان الثقافي إذ كل أمّة تسعى للترويج لصورتها الثقافية، قصد الاستثمار الاقتصادي – السياحي، فالعائدات من هذه الناحية مغرية جدّا، لكن القول السابق طرح إشكالية في غاية الخطورة، تمس خاصة فئة المثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي، وهي: ضرورة إنتاج تعريفات ومفاهيم أنثروبولوجية حول ماهية وبنية الثقافة ، لأنّ الثقافة في قوة حضور المحلي قبل العالمي . هذا أولا، أمّا ثانيا فلا بدّ من إنتاج أدوات ونظريات للتحليل وفق ما تقتضيه الثقافة المحلية، فالمنهجيات والآليات التي تسعى إلى مقاربة الثقافات لا بدّ أن تنبع من المحلي قبل العالمي، وهذا – طبعا – لا يتنافى ولا يتناقض مع ضرورة الاستفادة من تجارب الآخرين، لكنها ملاحظة لو صدرت من مفكر عربي لبدا الأمر فيه ما يشبه الدعوة إلى الانغلاق على الذات .

إن العولمة أنتجت أشكالا جديدة للمعرفة وعلى سبيل المثال، ضرورة تطوير لغة مشتركة بين الشعوب، قوامها المحبة والحوار .

([20])المصدر نفسه : ص 224

هذه بعض الجزئيات البسيطة التي حاولنا في هذا السياق ذكرها، لأن مشروع (أنطوني كينج) ورفاقه من أصحاب النظرية الثقافية – السوسيولوجية، كثير وكبير جدّا، ويطرح قضايا تحتاج إلى فريق عمل .

3- نظرية الثقافة والعولمة، مقاربة نسقية

إن مفهوم (التحليل النسقي) هو من المنهجيات الحديثة التي مازالت تفرض نفسها في الواقع المنهجي، حيث دخلت هذه المقاربة من (تحليل النسق السياسي Système Analyse Du politique لصاحبه David Easton دافيد ايستون) الذي يقول: ((يمكن تعريف المنظومة السياسية بأنّها مجموع التفاعلات التي بواسطتها توزّع المواد ذات القيمة عن طريق السلطة في المجتمع))[21] حيث انتقل بعدها التحليل النسقي إلى الدراسات السوسيولوجية ،و الدراسات النقدية [*] و غيرها .

ومن جملة ما يعنيه مفهوم النسق هو الطريقة والتنظيم والانسجام . ومادام (دافيد استون) يقيم تحليله النسقي وفق مبدإ سلطوي، يصبح من الضروري اعتبار (العولمة) هي المتغير المستقل، أي هي المؤثر والمسبب والمسيطر على بقية العناصر، بينما (الثقافة) هي المتأثر أو النتائج المترتبة عن دخول العولمة، لذا سينصب التحليل النسقي ((فقط على علاقات النسق بمحيطه، أي على تأثير المحيط على النسق، والطريقة التي تتم بها، والكيفية التي يحافظ بها النسق على توازنه في استجابته لهذه التأثيرات))[22] وعليه يمكن الخروج بجملة من الملاحظات :

1- أن التحليل النسقي هو عبارة عن دورة تقع داخلها كل المعاملات بين النسق ومحيطه.

([21]) فيليب برو : علم الاجتماع السياسي . ترجمة : محمد عرب صاصيلا . المؤسسة الجامعية للدراسات . بيروت . لبنان . ط2 . 2006 . ص141 .

([*]) يمكن أن نشير فقط إلى بعض النماذج عن الدراسات النسقية :

- عبد الله العروي : مفهوم العقل
- محمد مفتاح : التلقي و التأويل مقاربة نسقية
- أحمد بوحسن : العرب و تاريخ الأدب ، حيث يخصص فصلا كاملا عن مفهوم النسق .

([22]) جان بياركوت . جان بيارمونيي : من أجل علم اجتماع سياسي . الجزء الأول . ترجمة : محمد هناد . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر .1985 . ص 194 .

2- هذه الدورة حتى لا نقع في الشطط، نفترض بناء على الرؤية النسقية ، ليس لها بداية ولا نهاية (ونتجنب بذلك إشكالية البيضة أسبق أم الدجاجة).

3- الدورة السابقة في تحرك دائم ومن ثمة فليس هناك مطلب، ثم قرار، ثم تأثير عكسي، لذا فالمطلب الأصلي ذاته مسبوق بأثر عكسي .

4- يضم التحليل النسقي العناصر التالية :

- العلبة السوداء
- المدخلات - - - - - - المطالب + التأييدات
- المخرجات
- المحيط
- التأثير
- الطاقة [23]

ومن أجل التواصل مع المقاربة النسقية سنعمل على تقديم المثالين أو النموذجين التاليين :

النموذج الأول: العولمة تمثل نسق رئيس في المحيط، الذي يتشكل بدوره من مجموعة أنساق، لأن المحيط هو أكبر من النسق ، بينما الثقافة هي تمثل العلبة السوداء .

لقد نتج عن نسق العولمة في النسق الثقافي الجزائري ، عدّة مظاهر يمكن أن نقدم أحد تمظهراتها والمتمثل في البارابول الذي هو آلية للمدخلات يحمل الأشكال التعبيرية الجديدة بالنسبة لنسق الثقافة الجزائرية، وهذه الأشكال التعبيرية نوعان:

1- الأشكال التعبيرية المقبولة مباشرة

2- الأشكال التعبيرية المرفوضة مباشرة

أساس (الرفض / والقبول) راجع إلى التخصيص في الطاقة، داخل النسق الثقافي، وعليه نميز الحالات الآتية :

([23]) المصدر نفسه : ص 195

1- تأييدات مقبولة :

1- 1 الشكل التعبيري المقبول (التأييدات)، جمهور القنوات السياسية (الجزيرة/ العربية/ CNN ...) أسباب القبول لوجود طاقة أو حصة غير مستغلة داخل النسق الثقافي الإعلامي الجزائري .

1- 2 الشكل التعبيري المقبول، التأييدات، جمهور القنوات الدينية (اقرأ / الناس/المجد/... القنوات ذات الطابع الديني) أسباب التعلق والقبول وجود حصة غير مستغلة داخل النسق الثقافي الإعلامي الجزائري.

1- 3 الشكل التعبيري المقبول، جمهور القنوات الرياضية، تجلياته (الجزيرة الرياضية / Euro sport /TPS FOOT طبعا أسباب القبول وجود طاقة أو حصة غير مستغلة داخل النسق الثقافي الإعلامي الجزائري وهكذا بالنسبة لبقية التأييدات المتعلقة بالجمهور المتعدد الأذواق (كالقنوات الثقافية / أو المتخصصة في الأفلام / أو السياحة / أو الطبيعة / أو التاريخ ...)

2- مطالب:

2- 1 الشكل التعبيري المرفوض، جمهور القنوات الجنسية

2- 2 الشكل التعبيري المرفوض، جمهور القنوات المسيحية

3- المحصلة:

التأييدات تدخل مباشرة، ولا تطرح المطالب أيّ إشكال ، تبقى تلح وتصر لأنّها لا تنتظر قرارا من أحد، فهي تخلق نوعا من الضغط وعدم التوازن داخل النسق الثقافي الإعلامي (الجنسي / الديني)، وهذا الأمر يستدعي خلق أو إيجاد (مخرجات) أو (متنفسات) للنسق الثقافي ، وهذا راجع لخلل وظيفي في النسق نتيجة قوة المطالب وضغطها ،حيث يمكن ذكر بعض تجلياته، فيما يلي :

3- 1 فيديو– كليب: نساء شبه عاريات/الإيماءات والإيحاءات الجنسية/ التصوير في غرف النوم/اللباس والموضة ، فالنمط الثقافي الجديد لا بدّ أن ترافقه أشكاله التعبيرية ...

3- 2 الخطب الدينية: ردّ فعل حول الظاهرة، فهي عبارة عن تغذية ارتدادية أو تأثير عكسي، يتجلى في نزعة التشدد نحو الظاهرة السابقة .

ملاحظة: الهدف من المخرجات هو لكي يحافظ النسق على ذاته، والبقاء لأطول فترة زمنية ممكنة، هذا عن الملاحظة الأولى، أمّا الملاحظة الثانية، فهي أن العولمة عبارة عن نسق وليست (بارابول) أو (فيديو –كليب) حتّى لا أقزم أي نسق موجود له علاقة بكل الأنساق الأخرى .

النموذج الثاني : يتعلق النموذج الثاني، بالنخب الثقافية الجزائرية، وحتى لا أقع في التعميم أحاول أن أشير فقط إلى نقطة واحدة ومختصرة جدّا، لأنّ موضوع النخب إشكالية تحتاج إلى فريق عمل، حيث تتمثل هذه النقطة في : افتقار بعض النخب لنظريات سوسيولوجية جزائرية في قراءة واقع الجزائر.

وهذه الظاهرة هي من نتائج العولمة، حيث جعلت المثقف الجزائري يستعير نظريات ومفاهيم خاصة بالمجتمعات الأخرى، وحتى لا نصنف ضمن فئة رفض ثقافة الآخر، نقول بضرورة الانفتاح والاستفادة من المنجز الفكري والعلمي والحضاري وغيرها من الإنجازات الوافدة من الآخر، كل ما نودّ أن نشير إليه في هذه النقطة أو الجزئية البسيطة والمتواضعة، ما يلي :

من مظاهر العولمة الإنتاج الفكري العالمي القادم من أمريكا وأوربا، حيث تتجسد

(المدخلات) في النظريات والمفاهيم السوسيولوجية والاقتصادية، فهذه الأخيرة تمثل مدخلات، بينما الشكل التعبيري أو المطلب هو استعارتها، أيّ : النظريات والمفاهيم في قراءة المجتمع الجزائري، لذا نميز في الأشكال التعبيرية مايلي :

1- الشكل المقبول، ويتجلى في التأييدات من خلال النظرية الماركسية، حيث دخلت عن طريق المساواة، وهي ضرورة سار بها المجتمع الجزائري، نظرا لوجود حصة أو طاقة غير مستغلة في النسق الثقافي الأكاديمي الجامعي لدى النخب لذلك كان عندها القبول والتأييد للدخول .

2- الشكل المرفوض، نظرية التطور (أصل الإنسان قرد) وتفسير الرفض عدم وجود حصة أو طاقة، لأن ما يقابله في النسق الثقافي وجود جواب حول أصل الإنسان في النسق الثقافي الديني .

المخرجات :

1- الشكل المقبول : دخل التأييد الجديد ورفض القديم وتخلى عنه ،و هو لا يطرح أيّ إشكال، وتفسيره أنه يتم بطريقة لاواعية .

2- الشكل المرفوض : قفز فوق مكون من مكونات المجتمع الجزائري، الذي هو الدين وأبعده من التفسير السوسيولوجي .

ملاحظة : إن من بين المخرجات القفز عن مكون الدين أثناء استعارة النظريات والمفاهيم الأخرى، هذا ما يؤدي إلى تغذية ارتدادية لهذا المكون الذي يسعى بدوره في إطار نسق آخر هو النسق الديني، من أجل إيجاد مخرج له يتمثل في بلورة نظريات ما أصبح يعرف ب (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، طبعا لا تهدف هذه القراءة إلى الدفاع عن فكرة معينة بقدر ما تهدف – كما قلنا في بداية التحليل النسقي – إلى التنبيه فقط إلى كيفية عمل النسق والآلية التي يشتغل بها .

- النتائج

من بين النتائج التي توصلت إليها هذه المقاربة ما يلي :

1- مشروع (أنطوني كينج) ليس مشروع فرد، بقدر ماهو مشروع مجموعة من النخب ذات التكوين السوسيولوجي .

2- جهاز القراءة عند (أنطوني كينج) هو جهاز معرفي منهجي مركب من عدّة خلفيات، فهو يستعير منهجيات أخرى، كمنهجية (بيير بورديو) ومنهجية (إيمانويل والرشتين) وغيرها من المنهجيات .

3- مشروع (كينج) هو قيد التشكل، حيث لم يكتمل بعد، خاصة وأن مفهوم الهويات يظل يتحدد باستمرار، وغير منته.

4- يعتمد (أنطوني) في تحليله على ضبط التحولات الحاصلة على مستوى الذات والمكان والبيئة .

5- يلح (أنطوني) على ضرورة إنتاج تعريفات ونظريات ومفاهيم محلية، خاصة حول الأنثروبولوجية وماهية وبنية الثقافات لأن ما يحكمها هو الخصوصية، أكثر مما هو مشترك .

6- إن نسق العولمة ينبغي التعامل معه ليس في صده وغلق الحدود، لأن هذه العملية أصبحت آلية قديمة تجاوزها الزمن، بل في تفعيل وتثمين الفعل الثقافي المحلي، وهذا التفعيل من خلال إعادة اكتشافه وقراءته وفق منظور جديد، وبأدوات حديثة، وليس من خلال التقديس والتدليس والبهرجة والمناسباتية .

7- إن فكرة الحدود الثقافية تتجه نحو التآكل التدريجي، ذلك أن الضخ والبث الرقمي أقوى بكثير مما هي عليه الحدود الثقافية المحلية، لذا ينبغي وضع استراتيجية ثقافية، وليس ببكائيات على أيام زمان، لأن التحولات في نظام الصورة والصوت لا تنتظر أحدا .

8- أمام هذه الأنظمة الرقمية المبهرة، التي تكتسح كل القيم والنظام الرمزي الاجتماعي المحلي، ينبغي التفكير في فتح المزيد من الحريات أمام الإبداع لأن الطاقات في الوطن العربي مازالت مكبوتة ومسيجة، فالإبداع لا بدّ أن يواجه بإبداع مضاد .

إشكالية الوجود الطبيعي في الفكر الفلسفي الإسلامي
_ ابن حزم الظاهري نموذجاً _

أ/ سعد عبد السلام- جامعة الجزائر- بوزريعه

محتوى البحث وملخصه:

يتناول هذا البحث إشكالية الوجود الطبيعي في الفكر الإسلامي، حيث اهتم المتكلمون وفلاسفة الإسلام بالبحث في المسائل الطبيعية، ليس من أجل تفسير الكون على نحو ما فعل فلاسفة اليونان، وإنما أرادوا البحث فيها، بغرض البرهنة على وجود الله وإثبات وحدانيته، وبيان القدرة الإلهية في أهم مقدور لها وهو العالم الطبيعي بوصفه مخلوقا لله، ولكونه دالاً على الله؛ لا بل إن الدافع الأول والأهم من وراء أبحاثهم الطبيعية إنما هو خدمة العقيدة والدفاع عنها تلبية للنداء الديني، الذي يقيم أساس الإيمان على الاستشهاد بما في الطبيعة من موجودات.[1] ولذلك جاءت أبحاث جلّ المتكلمين للطبيعيات، من أجل خدمة الإلهيات، كتمهيد ومقدمة لها، وكما أن الكلام في الطبيعيات أساس للفلسفة، فهو أيضا أساس لعلم الكلام، لأن الفلسفة تعتبر بالمقابل أيضا امتدادا طبيعيا للكلام.[2]

وقد اخترت لهذا الغرض شخصية تميزت بالموسوعية الفكرية، والتي على الرغم مما أشيع عنها من جمود وتحجّر، ورفض لاستخدام العقل والتمسك بظاهر النصوص، إلا أنّها أثبتت أنّ الأمر بخلاف ذلك. و من هذا المنطلق فإني أشير إلى أن البحث في الطبيعيات قد احتلّ حيِّزا واسعاً في مؤلفات ابن حزم

(1) ينظر: منى أحمد أبوزيد: "التصور الذري في الفكر الإسلامي" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط.1994م (ص.8- 367) و أحمد محمود صبحي: "في علم الكلام" دار النهضة العربية، بيروت، ط.5، 1985م (208/1).

(2) حسن حنفي: "من العقيدة إلى الثورة" دار التنوير، بيروت، ط.1988م(398/1- 401). و يمنى الخولي: "الطبيعيات في علم الكلام" دار قباء، القاهرة، ط.1998م (ص.18).

– علي بن أحمد أبو محمد- المتكلم والفيلسوف الظاهري الأندلسي (384هـ- 456هـ/994م- 1064م) الذي صاغ آراءه الطبيعية والتي ربت على نيْفٍ وعشرين عنوانا، في مختلف القضايا والمسائل الطبيعية.[1] ومما يبهج القارئ لكتبه، ذلك العرض الماتع والتبويب الدقيق، والتفصيل البديع لمختلف تلك المسائل، مع ترتيب لآراء الخصوم وأقوالهم ثم تفنيدها، بما يراه مناسبا من الأدلة النقلية أو العقلية، يتلوه إثبات لما يراه صوابا وتأكيدا عليه بالبراهين المختلفة، مما يكشف عن عناية بالغة، واطلاع واسع على الآراء، وجهد كبير يكون قد بذله في النقد والتمحيص، إضافة إلى الحيِّز الشاسع الذي خصصه لهذه المسائل الطبيعية المتنوعة.

أولاً : مبادئ الوجود الطبيعي

مسألة حدوث الوجود الطبيعي - خلق العالم -

الطبيعة[2] عند ابن حزم هي:« قوة في الشيء تجري بها كيفياته على ما هو عليه، ولا تعدم منه إلا بفساده، وسقوط ذلك الاسم عنه.»[3] أي أنها صفة في الشيء، موجودة فيه بالقوة على ما هو عليه، ولا تزول منه إلا بفساده وفنائه. وهي في نظره، نظامٌ مُطَّرِدٌ خلقه الله عزَّ وجلَّ في الأشياء والموجودات لا تحيد عنه، وسنن رتَّبها الله فيها، والخروج عنها ممتنع عند كل ذي عقل، ولا تغيير فيها إلا بإرادته تعالى، ولا تبديل لخلق الله.[4] ولكن من وضع تلك القوة في الطبيعة ؟ و من جعلها بتلك الكيفية المطردة الثابتة ؟

---

(1) ينظر مثلاً لابن حزم:- "الفَصْلُ في الملل والأهواء والنِّحل" تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياءالتراث العربي، بيروت، ط.2002م(18/1- 48) و(155/3 حتى ص.276) وكذلك :"رسائل ابن حزم" تحقيق: إحسان عباس، نشرالمؤسسةالعربية للدراسات والنشر، بيروت (ط.2/1987م) خاصة (الجزء.4) منها.

2) هي:" اسم مشترك يدل على معان عديدة، أحدها ما يوجد في الأجسام من القوة التي تفعل على نهج واحد من غير إرادة ولا معرفة "ينظر : جيرار حكمي:" موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب " مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998م، ص.417.

(3) ابن حزم: "الفصل"(24/1)(87/2) و " الرسائل"(111/4)(416/4)وهي عنده مرادفة للفظ: "العالم"."الفصل..."(18/2- 107).

(4) نفسه.(156/3- 157).

« ومن درى ما الطبيعة، عَلِمَ أنها قوة موضوعة في الشيء، تجري بها صفاته على ما هي عليه فقط، وبالضرورة يعلم أن لها واضعا ومرتّبا وصانعا، لأنها لا تقوم بنفسها...»[1]

ولذا فقد شغلت قضية خلق الطبيعة - العالم- بال الفلاسفة والمتكلمين، وتباينت آراؤهم حول مسألة قدمه أو حدوثه؟ فذهب البعض إلى القول بقدم المادة، ومن ثمة قدم العالم[2] والقائلون بذلك هم الدهرية والزنادقة. وأما القائلون بالحدوث فهم أصناف، منهم: القائلون بالفيض[3] وإحداث الله العالم، لكن بينهما صلة كالصلة بين العلة والمعلول، أو السبب والنتيجة. وهنالك القائلون بإحداث الله العالم من العدم، وأنه تعالى الفاعل الحقيقي له، لا بل إنه مبدأُ حدوثِ العالم وتناهيه، مما يقود إلى وجود مُحْدِثٍ أول وواحد هو الله تعالى، لأن الضرورة العقلية تُحَتِّم ذلك. في حين ذهب المتكلمون إلى القول بأن العالم متألف من أجسام وأعراض، والله خالق الأجسام والأعراض الحالَّة بتلك الأجسام كالألوان ونحوها، وهكذا تستمر الأعراض لفترة مؤقتة حيث تتوقف لتحل محلها أعراض أخرى. ومن هنا ظهرت مشكلة الخلق المستمر أو "المستأنف". يقول الأشعري: « واختلفوا هل تفنى الأعراض أم لا ؟ وهل يجوز إعادتها أم لا ؟»[4]

وقد عرض ابن حزم لآراء القائلين بأزلية العالم[5] حيث جمعها في اعتراضات خمسة، ناقضا إياها، مفنِّداً لها ومبيّنا فسادها. ومال إلى القول بحدوث العالم وخلْقه من العدم،

---

(1) ابن حزم :"الفصل..."(31/1).

(2) ينظر عن ذلك : الغزالي:" تهافت الفلاسفة "(ص.74) و ابن رشد :" تهافت التهافت"(60/1) و عرفان عبد الحميد :"الفلسفة الإسلامية" مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2، 1984م(ص.77- 84).

(3) كالفارابي و ابن سينا مثلا. ينظر: حسن الشافعي:" التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية "(ص.53- 113) ومحمد عبد الرحمن مرحبا :"من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية "(ص.502).

(4) الأشعري:"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط.1950م(46/2).

(5) من الجدير بالذكر أن أرسطو يقول بقدم العالم، وهو قول لازم عن اعتقاده بالهيولي والصورة، لأن الهيولي في تصوره قديمة وأزلية، وهي الأساس لكل تغيير. عبد الرحمن بدوي: " أرسطو" مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط3، 1953م،(ص.130).

مستدلا بقوله تعالى:﴿ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [1] فالخلق الأول هو إيجاد وإخراج الشيء من العدم إلى الوجود، والثاني هو استمرار عملية الخلق. لأن خلق الله تعالى قائم في كل موجود، مادام ذلك الموجود موجوداً. ولهذا فإن الله يخلق العالم ويوجده في كل وقت وحينٍ، ويزيده في كل دقيقة، فهذا هو الخلق المستمر. مؤكدا على أنَّ مقولة النَظَّام المعتزلي[2] (ت.356هـ) صحيحة، ومدافعا عنها ضدَّ رافضيها. « وذُكِر عن النّظَّام أنه قال: إن الله تعالى يخلق كل ما خلق في وقت واحد دون أن يعدمه، وأنكر عليه هذا القول بعض أهل الكلام. وقول النظام صحيح، لأننا إذا أثبتنا أن خلق الشيء هو الشيء نفسه، فخلق الله تعالى قائم في كل موجود أبداً، ما دام ذلك الموجود موجوداً.»[3] مستدلاً على ذلك بقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [4] فهذا الخلق المُتجدِّدُ المستَأْنَفُ كل آنٍ وحينٍ هو ما يُعبَّر عنه بالخلق المستمر، والذي يعني أيضا أن الله يخلق العالم دون توقُّفٍ منه تعالى، ودون أن يُفْنِيه أيضا؛ وبهذا تستمر وتتواصل عملية الخلق إلى ما شاء الله.[5] وكل ذلك مبني على تصور مفاده أن العالم يتألف من أجزاء مفردة، يركبها الله بعضها مع بعض ويحمِّلُها أعراضها، ثم يتدخّل الله دائما لتجديد الأعراض الفانية وإعادة تركيب الجواهر المنحلّة، ليحفظ وجود العالم في عملية خلق مستمرة.[6] ولكننا نتساءل عن كيفية استمرار عملية الخلق هذه ؟ وما الضامن لبقاء هذه العملية؟ ومالذي يحول دون توقُّفها ؟

لابدّ أن نتذكر ما قلناه آنفا، من أن ابن حزم ذكر أنَّ في الطبيعة قوة ونظاما دقيقا مطّرداً، تسير عليه هذه الطبيعة، ولا يتخلف عن ذلك أي مخلوق فيها، فالطبائع

(1) سورة الزمر [الآية 6].

(2) أكد "النّظّام" على أن الله خلق الأجسام ضربة واحدة ثم إنه يخلق الجسم كل وقت. كما أن الله يخلق الدنيا وما فيها حالاً بعد حال من غير أن يفنيها وهكذا تتجدد الجواهر والأجسام في كل حين." ينظرالأشعري:"مقالات الإسلاميين"(89/2) و البغدادي:"الفرق بين الفرق"(ص.135- 136).

(3) ابن حزم :" الفصل... "(196/3) باب " خلق الله العالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة ".

(4) سورة الأعراف [الآية 11].

(5) ينظر: ابن حزم:" الفصل في الملل..." باب" خلق الله عز وجل العالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة "(196/3).

(6) على سامي النشار:" مناهج البحث عند مفكري الإسلام" دار النهضة العربية، بيروت، ط.3 ،1984م (ص.124- 125)

أكْمَنها الله في هذه الأشياء ، لتجري فيها على تلك الكيفيات التي وضعها الله عليها، ولذلك لا تقبل أي تبديل أو تغيير مهما كان، إلا أن يشاء الله. وعلى هذا النحو تمضي في تنقُّلها من صفة لأخرى، ومن عَرَضٍ لغيره، حتى لا يعتريها الفساد.[1] ولهذا يتصور أبومحمد أن عملية الخلق تتمّ وتستمر بتنقّل الأجرام من صفة إلى صفة، ومن عالم إلى عالم، حتى تستقر في عالم الجزاء بلا نهاية.« فالله تعالى يخلق في كل حين جميع العالم خلقاً مستأنفاً دون أن يُفْنِيَهُ.»[2] ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ [3] فالخلق الأول إيجاد، والخلق الثاني استمرار واستئناف لحفظ الوجود؛ أو بمعنى آخر إن صلة الله بالمخلوقات لاتنتهي عند خلقه لِمَا خلَقَ أول مرة، وإنما يحتاج هذا الخلق إلى حفظ وكلاءةٍ ورعاية مستمرة منه تعالى، وهذا بحد ذاته خلق آخر. فالله في كل وقت وحينٍ يحفظ مخلوقاته بقدرته، ويبقي على وجودها مستمرة بالخلق المستمر حتى لا تفسد وتنقطع، وهذا أيضا دليل على أن العلاقة قائمة ومستمرة لحفظ الوجود، وليس ذلك كذلك بالنسبة للإنسان مثلا، حيث يوجِد ويصنعُ أشياءً ثم يتركها، فهو مبتدأُ وجودها فحسب. وهذا ما قصده ابن حزم « فأخبرونا أليس الله تعالى موجدا لكل موجود أبداً مدة وجوده ؟... قلنا لهم: هذا هو الذي أنكرتم بعينه قد أقررتم به، لأن الإيجاد هو الخلق نفسه، والله تعالى موجد لكل ما يوجد... وخالق لكل مخلوق في كل وقت... وهذا لا مخلص لهم منه وفي ذلك يقول الله عزّ وجل: ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [4].» [5]

مسألة: علة الوجود الطبيعي - العلّيّة -

وإذا ثبُت أن الله عزّ وجل هو خالق الوجود الطبيعي وموجده، فقد أطلق الفلاسفة لفظ :"العلة الأولى" عليه عز وجل، على اعتبار أنه سبب الموجودات ومُبْدِعُ الكائنات.

---

(1) الفساد عند أبي محمد ، هو خروج من الوجود والوجوب إلى البطلان والعدم. « والفساد عندنا افتراق الجسم، وذهاب أعراضه وحدوث أعراض أخر عليه.» ابن حزم :" الرسائل "(183/4).

(2) ابن حزم :" الفصل "(196/3).

(3) سورة الزمر [الآية 6].

(4) سورة فاطر [الآية 1].

(5) ابن حزم :" الفصل "(196/3). مصدر سابق.

فالكندي (ت.252هـ/866 م) مثلا ذهب إلى أنّ « الباري تعالى هو العلة الأولى لجميع المفعولات... إلا أنه علة قريبة للمنفعل الأول، وعلة يتوسط لما بعد المنفعل الأول من مفعولاته.»[1] فالله عنده علة الموجودات، وعنها يكون إبداع جميع المتهويات، وإيجاد الأيس من اللّيس، أي الوجود من العدم. فالله فاعل، والفاعل علة. واعتبار الكندي الله كعلة للحركة والتهوِّي، والإبداع والانفعال يوحي بفكرة الفيض الأفلوطينية، ولا خلاف حول قول الكندي بحدوث العالم.[2] بل إنه يعطي انطباعاً بأن الله مضطر إلى إيجاد العالم، ومُلزَمٌ بالتهوّي والتكثّر، وهو ما يشير إليه قوله: « فإذن فيض الوحدة عن الواحد الحق الأول هو تهوّي كل محسوس... فيوجد لكل واحد منها إذا تهوَّى بهُويّته إياها، فإذن علة التهوِّي هي من الواحد الحق.»[3] وقد اطلع أبو محمد على رأي الكندي هذا، وقام بالردّ عليه في رسالة خاصة، محاولا إبطاله، نافيا أن يكون الله علة العالم.[4] يقول ابن حزم: « لا نقول: الباري عز وجل كما قال يعقوب بن إسحاق: إنه علة...»[5] كما رفض إطلاق ألفاظ : "العلة" و"علة المعلولات" و"علة العلل" على الله تعالى. « لا نقول نحن إنه علة أفعال المعلولات، ولا علة المعلولات، ولا علة العلل... بل نقول هو الأحد الأول الصمد مبدع العلل، وهو الذي ابتدع جميع المعلولات.»[6] ومعنى ذلك أن ابن حزم نظر إلى فكرة العلّيّة نظرة مبنية على النّص من جهة، وعلى العقل والمنطق[7] من جهة أخرى؛ وما ذلك إلاّ لأنه سينجر عن القول بالعلة، توهُّمُ المرء عقليا بين العلة والمعلول، بل قد يلزم عنه أن يظن ظانٌّ ألاّ وجود لعلة بلا معلول، ولا لمعلول بلا علة. وعلى ذلك فيجب أن ينزّه الله تعالى عن ربطه بمصطلح العلة؛ أو التقوُّل عليه بما لم

(1) الكندي:"الرسائل الفلسفية" تحقيق: محمد عبدالهادي أبو ريدة، مطبعة الإعتماد، القاهرة (ج1.طبع سنة.1950م)(183/1).

(2) حسام محي الدين الألوسي:" فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه" دار الطليعة بيروت، ط.1 1985م (ص.261).

(3) الكندي: " الرسائل الفلسفية" (162/1). مصدر سابق.

(4) ابن حزم:" رسالة الرد على الكندي الفيلسوف" ضمن "الرسائل" (363/4). مصدر سابق

(5) نفسه.(369/4).

(6) ابن حزم : " رسالة الرد على الكندي الفيلسوف" "الرسائل" (370/4).

(7) إضافة إلى ماسبق يقول ابن حزم: "والعلة لا تكون إلا جنسا،والعلة لاتكون إلا مضافة،والعلة من كل جهة لاتكون مع الوحدة الصحيحة... فحسبه بهذا عياً وكفراً وضلالا ." "الرسائل"(385/4).

ترد به النصوص. فأبطل أبو محمد بذلك القول بأن الله علة، وأثبت بالمقابل أن الله يتعالى عنها، لأنه هو مبدع العلل. « العلة هي كل ما أوْجَبَ حكْما لم يوجد قط أحدهما خاليا من الآخر، كتصعيد النار للرطوبات واستجلابها الناريات...»[1] والمراد بذلك أن مجال العلة ومدارها على الأمور الطبيعية المرتبطة بعضها ببعض، أما في أمور الشريعة والإلهيات فلا توجد علّة أبداً، وإنما هي أوامر الله فقط. « وبالجملة فليس في الشرائع علة أصلا، بوجه من الوجوه..و إذا لم تكن العلة إلا التي لم توجد قط إلا وموجبها معها، فليس ذلك إلا في الطبيعيات فقط.»[2] ذلك لأن « العلة في العقول الصحيحة هي السبب المطبوع لكون المسبب لا محالة، فالأوّل جلّ وعزّ لا سبب، تعالى عن ذلك، فأنّى يكون سبباً وهو مُحْدِث الأسباب وفاعلها، وأنَّى يكون علة وهو مُحْدِث العلل وواضعها لا من سبب ولا من علة.»[3] ومعنى ذلك أنَّ العلة تتضمن معنى الضرورة والاحتياج إلى معلولها، كما أن المعلول أيضا محمول على علّته ومحتاج إليها، فكلاهما مضطر للآخر، وبحاجة كل واحد منهما لصاحبه.[4] وهو ما يتنافى وغِنَى وغِنَى الله تعالى عن كل شيء. « وليست هذه صفة الخالق الأول الذي كان قبل أن يبدع شيئا غنيّاً عن كل شيء.»[5] فالله تعالى لا يحتاج إلى مخلوقاته، بل أوجد وأبدع هذا العالم لغير علة أوجبت عليه أن يخلق ما خلق، فهو مطلق الإرادة على فِعْل ما يشاء، لا معقّب لحكمه، وليس مشاكلا للمعلول فيكون علة؛ يفعل لا لعلة، ويترك لا لعلة، بل كما يشاء لا إله إلا هو.[6] ومما هو معلوم أيضا، أن العلل الأرسطية أربعة، وكل منها تؤثر في الأخرى، فالعلة الغائية تؤثر في العلة الفاعلة بالجذب أو

---

(1) ابن حزم: "الإحكام في أصول الأحكام" تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.2004م (97/2).

(2) ابن حزم:" رسالة التقريب لحد المنطق" ضمن :"الرسائل" (303/4) " ولا علة في شيء من الدين أصلا، والقول بها في الدين بدعة وباطل." ابن حزم :"الإحكام" (47/1).

(3) ابن حزم:"رسالة الرد على الكندي" ضمن:"الرسائل" (383/4).

(4)(نفسه.(370/4).

(5) نفسه.(370/4).

(6) نفسه.(173/4- 376) وأيضا: "المحلى" (23/1) و "الفصل" (315/1).

الإغراء، والفاعلة تؤثر بالفعل والإيجاد، وكذلك العلتان المادية والصورية، وقد يكون الكندي كمن جاء بعده من الفلاسفة المشائين، قد تأثر بنظرية العلل هذه.[1] وهو ما تفطن إليه ابن حزم محاولا تفنيد هذه الفكرة، وإبطال القول بأن الله علة، لأن ذلك ممتنع شرعا وعقلا، بل يؤدي القول بها إلى الشرك بالله، والخروج من التوحيد ،مُبَيِّناً كل الاحتمالات الواردة من أن العلة إما لم تزل مع الله، وإما أنها مخلوقة محدَثة وكلاهما ممتنع، وإما أن تكون غير مخلوقة وهذا محال.[2] وأما إن قالوا :« بل خُلِقَت العلة لا لعلة. سُئلوا: من أين وجب أن يخلق الأشياء لعلة ويخلق العلة لا لعلة؟ ولا سبيل إلى دليل.»[3] وقد ذهب أبو محمد إلى أن « كل مُكَوَّنٍ معلولٌ، وكل كائن فله علة، وما لا علة له فلا كون له... فالعلة العليا لكل شيء هي مشيئة الله تعالى فهي شاملة عامة، ثم انفصل منها لكل شيء علة خاصة... والعلم معرفة بالعلل، والرسوخ فيه بقدر الرسوخ فيها.»[4] والذي يظهر من كلام أبي محمد أنَّ الضرورة التي تلاحظ كعلاقة قائمة بين العلة والمعلول لا تستمر إلى ما لا نهاية، بل لها حد تنتهي إليه، أمَّا أن تستمر سلسلة العلل إلى الله فهذا ما يرفضه، لأن الله عنده ليس بعلة، ولأجل ذلك اعترض أبو محمد على الكندي وانتقده كما سبق.[5] فالله لا يدخل ضمن دائرة العلل، وإنما بمشيئته وإرادته خُلقت العلل والمعلولات. « فإن قال قائل: فلولاه لم تكن العلل ولا المعلولات. قيل له: نعم، لولاه لم تكن، ولكنه ليس علة. لأن اسم العلة فيه معنى الضرورة إلى معلولها، وفي المعلول معنى الضرورة لعلته، لأن العلة موضوعة للمعلول والمعلول محمول على العلة فَهُمَا مضافان مضطران متَّصلان غير مفترقين... لحاجة كل واحد منهما لصاحبه.»[6] وعلى هذا فلا حاجة ولا ضرورة لاستخدام العلة

(1) يوسف كرم:"العقل والوجود"(ص.170) والفارابي:"آراءأهل المدينةالفاضلة" تحقيق: ألبير نصري نادر، دارالمشرق، بيروت، ط1985م(ص.37)

(2) ابن حزم:"المحلي" (23/1- 24)و "الفصل" (20/1).

(3) ابن حزم: " المحلّي بالآثار" تحقيق:عبدالغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.ط. (24/1).

(4) ابن حزم :" الرسائل "(396/4).

(5) يراجع مسألة : " نفي العلة عن الله والرد على الكندي " وينظر :" الرسائل "(369/4).

(6) ابن حزم :" الرسائل "(370/4).

في الإلهيات، لأن القول بها يؤدي بصاحبه إلى نقض توحيده كما حصل للكندي، وتدخل قائلها في متاهات الكفر والضلال.[1] ولهذا نجد أنَّ ابن حزم يكرِّر كثيرا مبدأه القائل: إنه ليس في الدين أو في الشريعة علة أو تعليل أصلا بأيّ وجه من الوجوه.[2] لأن العلة « اسم لكل صفة توجب أمراً ما إيجابا ضروريا، والعلة لا تفارق المعلول البتَّة، كَكون النار علة للإحراق، والثلج علة التبريد الذي لا يوجد أحدهما دون الثاني أصلا.»[3] ومع أنَّ ابن حزم ينكر التعليل في الإلهيات[4] إلا أن الأمر يختلف بالنسبة للقضايا الطبيعية، إذ يقول بها ويؤكد عليها، لأن مجال الطبيعيات يختلف كلياً عن الإلهيات. ومن ثمة يقرِّر أنَّ العلة مجالها خاص، وهو العالم أو الطبيعة ومافيها من مخلوقات، فهي تخضع للعِلِّية، وفيها الضرورة لبعضها بمشيئة الله تعالى. « وإذا لم تكن العلة إلا التي لم توجد قط إلا وموجبها معها فليس ذلك إلا في الطبيعيات فقط، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يوقع اسم علة على غير هذا المعنى.»[5] فالتصورات المبدئية التي انطلق منها أبومحمد في رفضه للتعليل والقياس في الشرعيات وقبوله بذلك في الطبيعيات إنما ذلك لاختلاف المعطى الإلهي عن المعنى الطبيعي. فالأول غائب عنَّا، والثاني شاهد لدينا. وينبغي ههنا أن نشير إلى أهمية التَّمييز بين التعليل الشرعي والتعليل الطبيعي، بناءً على أن الطبيعة مسخَّرة تفعل ما يراد لها، بينما الشارع فاعل بالإرادة والاختيار، وإذا أمكننا أن نعرف الموجبات الطبيعية، فإن الموجبات الشرعية ليست في متناول عقولنا. وبهذا يكون ابن حزم قد أعطى لمشكلة التعليل

(1) ينظر ما وصف به ابن حزم الكندي في :" رسالة الرد على الكندي "ضمن " الرسائل "(369/4).

(2) في كتاب :" الإحكام في أصول الأحكام " لابن حزم باب في نقض وإبطال التعليل في جميع أحكام الدين، ينظر :(581/2).

(3) نفسه. (602/2).

(4) " لأن هذا التصور يجعل المشيئة الإلهية ملاصقة لكل تغير في العالم بعد خلقه لتجري أحداثه بما شاء الله لها مما يُبقي العناية الإلهية قائمة في العالم لتجري أحداثه كما شيءَ لها." أنور الزعبي:"ظاهرية ابن حزم الأندلسي" نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي عمان، ط.1996م(ص.102)

(5) ابن حزم :" الرسائل "(303/4).

الشرعي وجها آخر، كان على مخالفيه أن يتفهَّموه[1] حيث إن النصوص وحدها هي التي تقرر هذا أو ذاك.[2] ومن هنا يتبين لنا أن القناعة الحزمية بقصر العِلِّيّة على الطبيعة وحدها دون الشريعة، تترتب عليه رؤية علمية موضوعية ودقيقة للقضايا الطبيعية، وبالمقابل تحدِّد دور العقل في ما يتعلق بالشرعيات حيث لا يقاس الغائب على الشاهد.

وبناءً على هذه النظرة، سيرفض أبومحمد كل الآراء والأفكار التي فيها إشادة وقبول للسحر والشعوذة والإلهام وتناسخ الأرواح[3] على أساس أنها ليست قادرة على قلب واختراق، أو تجاوز سنن وقوانين الطبيعة،كما هو الحال بالنسبة لمعجزات الأنبياء، المؤيدة من الله تعالى. «والعلل الموضوعة ليست بأولى بالترك لمعلولاتها، وإعدامها منها إلا بترك ما قد جعل لها في قوّتها أن تفعله، ويوجد منها لأنها مضطرة إلى فعل ما جعل فيها فعله.»[4]

ثانيا: حقائق الوجود الطبيعي

مسألة: الجوهر الفرد

لهذا الموضوع علاقة بما سبق الحديث عنه، وهو يعتبر من أهم دقائق المسائل الطبيعية، لكونه الركيزة الأساسية لرؤية شمولية تلتمس تصورا طبيعيا لخلق العالم، كما تمثل هذه المسألة أهمية كبرى في الفِكرين اليوناني والإسلامي، إذ تعود أصولها لنظرة الإغريق إلى جسم العالم ومكوناته، وما أطلق عليه اسم: الذرة أو الجوهر[5] كأساس لتفسير العديد من القضايا الطبيعية. حيث كان التساؤل عما إذا كان

---

(1) محمود يعقوبي:"مسالك العلة وقواعد الإستقراءعند الأصوليين وجون ستيوارت مل" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر د.ت.ط، (ص.62).

(2) يقول ابن حزم :" هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو المختار وما سواه مضطر..." " الرسائل"(371/4).

(3) ينظر :" الفصل"(81/1)(144/3- 181) و " الرسائل"(185/3)، و " الأصول والفروع" (ص.241- 247- 256).

(4) ابن حزم :" الرسائل"(370/4).

(5) يستعمل المتكلمون عبارات متنوعة للتعبير عن الجوهر الفرد، مثل:"الجزء الذي لايتجزأ" و"الجزء الواحد" و"الجوهرالذي لاينقسم" وأحيانا: "الجوهر" أو"الجزء" للإختصار. ومرادهم بذلك أصغر جزء يمكن أن ينقسم إليه الجسم. ينظر: الأشعري:"مقالات الإسلاميين" (10/2- 18) و منى أحمد أبو زيد: "التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994م.(ص.26).

بالإمكان تقسيم الذرة إلى ما لانهاية له من الأجزاء أم لا؟ وتشير بعض الدراسات إلى أن فكرة "الجوهر" في الفكر الكلامي، بدأت مع العلاّف المعتزلي (ت.235 هـ/841م) وذلك في إطار استدلاله على حدوث العالم، اعتمادا على القول بالجواهر والأعراض؛ ثم أخذ بها أكثر المعتزلة، فالأشاعرة والماتريدية، وغيرهم لتصبح أهم نظرية طبيعية عند المتكلمين.[1] كما تستهدف من جهة أخرى، وخصوصا لدى الأشاعرة، إفراد الذات الإلهية بالقدرة المطلقة على الخلق والإبداع من عدم. ولهذا احتفى الباقلاني بالجوهر، وجعله أول الأدلة على وجود الله.[2]

وأما عن موقف ابن حزم من هذه المسألة، فقد ذكر أنَّ « جمهور الأوائل والمتأخرين ذهبوا إلى إثبات شيءٍ سمّوه جوهراً ليس بجسم ولا عرض، وهذا هو قول أرسطو طاليس وأكثر الفلاسفة.»[3] كما أشار إلى أن قوما من المتكلمين ذهبوا إلى إثبات شيءٍ سموه جوهرا، لا هو بجسم ولا هو بعرض، كما أنه ليس بمكان، ولا طول ولا عرض ولا عمق له، إضافة إلى أنه لا يتجزأ.[4] ويبدو لنا من سياق كلامه، عدم قبوله ورضاه بهذا الشيء المتوهم، مؤكدا في ذات الوقت، على أن أي جوهر لابد أن يكون جسما متحيزا وذا نهاية ما، وإلا فهو ليس بجوهر. لأنّ « كل جوهر جسم، وكل جسم جوهر، ولاشيء غير ذلك.»[5] فابن حزم لا يتصور عدم وجود جواهر لامادية أو مجردة في العالم، بل الجوهر في تصوره جسما حاملا لأعراض، وذو مكان ونهاية. « ليس في الوجود إلا الخالق وخلقه، وإنه ليس الخلق إلا جوهراً حاملا لأعراضه، وأعراضا محمولة في الجوهر، لا سبيل إلى تعرِّي أحدهما عن الآخر.»[6] أي

(1) منى أبوزيد: "التصورالذري..."(ص.15) ونشير هنا إلى أن الأشاعرة وكذلك العلاف يقولون بالجزء الذي لايتجزأ. مرجع سابق.

(2) عبد الراضي محمد عبد المحسن:"نظرية الوجود لدى ابن حزم" مركزالملك فيصل للبحوث، الرياض، ط.2006م(ص.155).

(3) ابن حزم:"الأصول والفروع" تحقيق:عاطف العراقي وآخرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط.2004م (ص.121).

(4) ابن حزم: "الأصول والفروع" (ص.121) و"حجة الوداع" (ص.148) و"الفصل"(209/3).

(5) ابن حزم:"الأصول والفروع" (ص.121- 128).

(6) ابن حزم :"الفصل" (210/3).

أي أنه ينفي وجودَ جوهر غير جسمي أو لا يتحيز ولا أعراض له. فمن خصائص الجوهر عند ابن حزم أن يكون جسما حالا متحيِّزاً منتهيا. « إن كل جوهر جسم وكل جسم جوهر، وهما اسمان معناهما واحد.»[1] وما ذلك إلا لأن الوجود المادي الظاهري الواقعي، ضروري لأي جوهر، ومادام الجوهر جسماً فإنه من الضروري أن يكون متحيزا، وتبعا لذلك يكون له طول وعرض وزمان ومكان. وكل ذلك لإثبات جسمية الجوهر، أما كونه بلا هذه الصفات وكونه لا يتجزأ، ونحو ذلك مما قيل عنه؛ فكل ذلك تجريد وهمي باطل لا يصح التحدُّثُ به، ولأجل ذلك رفض القول بوجود الجزء الذي لا يتجزأ، وذلك لاعتبارات منها:

أولا: إنه لا دليل لهذه الادعاءات « فكلها دعاوى مجردة لايقوم على صحة شيء منها دليل أصْلاً لا برهاني ولا إقناعي؛ بل البرهان العقلي والحس يشهدان ببطلان كل ذلك... وما كان هكذا فهو باطل محض.»[2] ورَفْضُهُ القول بالجوهر الفرد، لما يترتب عنه من القول بالانفصال بين ذرات العالم، لذا يؤكد على أن الجوهر ليس شيئاً آخر غير الجسم.[3]

وثانيا: رفَض القول به لأنه ليس من قول المسلمين، بل هو رأي المجوس والصابئة والدهرية والنصارى والمجسّمة، ونحوهم ممن يسمُّون الباري تعالى جوهراً، وحاشا أن يسمى الله عز وجل بالجوهر.

وثالثا: لأن كلمة:"جوهر" لفظة عربية، ولا يجوز إطلاقها على الله تعالى، لعدم ورودِ نَصٍّ بذلك.[4] واعتماداً على تتبُّع ابن حزم لمفاهيم الجواهر ومواقع وروده عند القدامى، وجد أنهم قد أطلقوه وأوقعوه على ثمانية أشياء، كلها جواهر مدّعاة. وهي: الله، النفس، العقل، الهيولي، الصورة، الخَلاء، المدة، الجزء الذي لا يتجزأ، وهذا جهل منهم في نظره.[5] « صَحَّ يقينا أن تسمية الله عز وجل جوهرا، والإخبار عنه بأنه

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) محمد عابد الجابري :" التراث والحداثة "مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 1991م، (ص.189).

(4) ابن حزم :" الفصل " (210/3- 214).

(5) نفسه. (210/3).

جوهر،حكْمٌ عليه تعالى بغير عهْد منه، وإخبار عنه بالكذب... فالجوهر حامل لأعراض ما، ولو كان الباري حاملا لعرضٍ لكان مركّبا من ذاته وأعراضه وهذا باطل.»[1] وقد بدا لي أن هذه المقولات، هي اعتبارات فلسفية أرسطية أو يونانية انتقلت إلى الفكر الفلسفي المشائي، ثم إلى الحقل الكلامي، دون مراعاة للاعتبارات الدينية التي قد لا تتلاءم معها. ولهذا فإن نفْي ابن حزم للجوهر الفرد من الناحية الأنطولوجية، ناجم عن رفضه أن يوصف شيء آخر بصفة اللانهائي، والتي ينبغي ألاّ تكون إلا لله عز وجل. يضاف إلى ذلك أن انتقاده للقائلين بالجزء الذي لا يتجزأ، مرده إلى أن القول به معناه : نفي قدرة الله على أن يوجِد ما هو أصغر من الجزء، وهذا محال في حق الله تعالى. « فالله قادر على أن يخلق جسما لا ينقسم، ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه... والله تعالى قادر على كل ما يُسْأل عنه، إلا أنه تعالى لا يفعل كل ما يقدر عليه، وإنما يفعل ما يشاء.»[2] والقائلون بالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ، يجعلون الله عاجزا عن تجزئة هذا الجوهر، وهذا ما يتنافى وقدرة الله المطلقة التي لا يعجزها شيء، لأن التناهي في التجزئة إيقاف لهيئة الشيء المحدَث المخلوق، أما بالنسبة لله تعالى فلا. « هل ألَّف أجزاء الجسم إلاّ الله؟ فلابد من نعم.»[3] فيلزم عن ذلك أنه يستطيع تجزئته إلى ما لانهاية له، وإلا فإن المعترض على ذلك يُعْجِزُ ربّه.[4] مستدلا بقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5] ومع ذلك فإنه مادام هذا الجزء لم يخرج بعد إلى حيز الوجود، فلا معنى له من الناحية الأنطولوجية، بل وكذلك من الناحية الإبستمولوجية، لكونه لن يخرج من القوة إلى الفعل إلا بمشيئة الله. ولعلنا لا نستبعد هنا، أن يكون أبو محمد قد اطلع على أدلة وحجج "النّظّام" المعتزلي(ت.356هـ) وتأثر بها، بدليل أن ابن حزم قال:« ذهب جمهور المتكلمين إلى أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار ولا يمكن البتة أن يكون لها تجزّؤ، وأن تلك الأجسام جواهر لا أجسام. وذهب النّظّامُ وكلّ من يحسن القول من الأوائل إلى أنه ما من جزءٍ

(1) نفسه. (3/213.)

(2) نفسه. (3/233).

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) سورة النحل l الآية 40].

وإنْ دقَّ إلا وهو يحتمل التجزّؤ أبداً بلا نهاية، وأنه ليس في العالم جزء لا يتجزأ.»[1] ومن المعلوم أن النَظَّام عارض نظرية الجزء الذي لا يتجزأ وفقا لتصوره لقدرة الله المطلقة، فهي التي أملت عليه القول بأن الجزء لا يتناهى في القسمة الذهنية.[2] ولم يكتف ابن حزم بتفنيد آراء خصومه وإعطاء تصوره لهذه المسألة، بل قدّم نماذج من الأدلة الرياضية الهندسية وأخرى فيزيائية[3] للبرهنة على أنه لا وجود لما يسمى الجزء الذي لا يتجزأ، أو الجوهر الفرد.

ولعلنا نستشف من نقد أبي محمد لدليل الجوهر الفرد وعدم إقراره به، أنه لا تحديد لِمَا ليس متحقّقا بالفعل ولا معنى له ما لم يتحقق وجوده الظاهري. « فهذه براهين ضرورية قاطعة بأن كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية، وأنَّ جزءاً لا يتجزَّأ ليس في العالم أصلا، ولا يمكن وجوده؛ بل هو من المحال الممتنع.»[4]

ثانيا : ظواهر الوجود : (الزمان والمكان والملاء والخلاء).

أجمع الفلاسفة والمتكلمون على أن المكان والزمان فكرتان طبيعيتان فلكيتان، وتوأمان ذهنيان لا يفترق أحدهما عن الآخر، وأنهما غير منفصلين عن الجسم المتحرك.[5] وتم البحث في وجودهما ودلالتيهما من الناحيتين الأنطولوجية والميتافيزيقية والميتافيزيقية مع اختلاف في الرؤى الفلسفية والكلامية. فالزمان مثلا عند الغزالي، كما عند أغلب المتكلمين حادث مخلوق وليس قبله زمان أصلا، فالله متقدم على الزمان والعالم معاً لأنه كان ولا عالم، ثم كان ومعه العالم، والتقدم هنا يعني انفراد الباري تعالى بالوجود، وهو ما يناقض فكرة المشائين القائلة بأن الله متقدم على العالم بالذات والمعلولية والرتبة فحسب، أما في الزمان فلا.[6] وعلى هذا اختلفت نظرياتهم للزمان والمكان والمدة والحركة، وما يتفرع عن ذلك من القول بالخلاء والملاء .

---

(1) ابن حزم :" الفصل "(231/3).

(2) أحمد محمود صبحي :" في علم الكلام "(237/1)، مرجع سابق.

(3) ينظر بتوسع :" الفصل "|(241/3- 243).

(4) نفسه (243/3).

(5) عبد الحميد خطاب :" إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي " مقال بمجلة: " المبرز" الصادرة عن المدرسة العليا للأساتذة، جامعة الجزائر، بوزريعة ، جويلية – ديسمبر ، 1999م، العدد :13 (ص.64- 65).

(6) ينظر:"تهافت الفلاسفة"(ص.109)في حين ذهب البعض إلى إنكار وجودالزمان. منى أبوزيد :" التصورالذري في الفكر الفلسفي..."(ص.138).

وأما عن أبي محمد فإنه يصف القائلين بالزمان والمكان الأزليين المطلقين بالملحدين[1] مؤكداً على أن المكان والزمان المعهودين عنده، غير المكان والزمان عندهم، أي عند الفلاسفة والمتكلمين القائلين بأزليتهما. « المكان المعهود عندنا هو المحيط بالمتمكّن فيه من جهاته أو من بعضها، وهو ينقسم قسمين... والزمان المعهود عندنا هو: مدة وجود الجُرْم ساكنا أو متحركا، أو مدة وجود العرض في الجسم.»[2] كما أنه يشير إلى أن المكان لا يكون إلا جُرْماً من الأجرام الساكنة أو المتحركة، فهو إما أرض أو ماء، أو هواء، أو نحو ذلك من الأجسام التي لها مساحة، ويمكن أن تُذْرَعَ وتُقاس، ويتشكل المكان عنده بتشكل المتمكّن فيه أي الجسم. في حين أن الزمان يعبر عن المدة التي يستغرقها هذا الجرم في حركة أو سكون، لأن الزمان ليس عدداً محضاً مجرَّداً، بل هو مركب من الجرم وحركته أو سكونه، وعلى هذا تَنْتج لنا أقسام الزمان المعروفة وهي: الماضي والحاضر- الآن- والمستقبل.[3] وأبو محمد يقصد بالزمان المعهود عندنا: الزمان الدنيوي- الفيزيائي- أو هو الزمن المحسوس الذي يوجد فيه الجرم ساكنا أو متحركا.« أو مدة وجود العرض في الجسم، أو هو عامة وجود الفلك وما فيه في الحوامل والمحمولات.»[4] كما أنه يجعل الزمان لازما من لوازم الجرم لأنه إذا لم يكن جرم، لم يكن زمان. وبالمقابل يجعل المكان لازما من لوازم المتمكّن فيه، فإذا لم يكن متمكَّن أو حيث لا يوجد جسم، لم يكن مكان على اعتبار أن المكان محيط بالجسم المتمكَّن فيه. « فلو لم يكن جرم لم تكن مدة، ولو لم تكن مدة لم يكن جرم.»[5] أما انقسام الزمان إلى وحدات متناهية هي"آناته" التي يتصل بموجبها الحاضر بالماضي وبالمستقبل. « كل زمان متناه ذو أول يشهد له بذلك الحس والعيان، فإن الزمان كله يوم ثم يوم هكذا مدة وجوده... والزمان ليس هو شيئا غير أجزائه التي هي أيامه، فالزمان ذو مبدإٍ

---

(1) ابن حزم :" الفصل"(35/1). ذهب بعض الباحثين إلى أن الغاية العظمى لابن حزم من البحث في الزمان هي إقامة الدليل على أن الله أزلي أبدي، دائم خالد، أما الزمان فليس كذلك.ينظرعمر فروخ :" ابن حزم الكبير"(ص.194). مرجع سابق

(2) نفسه.(35/1). ومثله في :"الرسائل (148/4)، وتعريفه هذا يقترب من تعريف الكندي حيث يقول :" الزمان هو عدد الحركة، والمكان هو نهايات الجسم." " الرسائل الفلسفية " (117/1) مصدر سابق.

(3) ابن حزم :" رسالة التقريب لحد المنطق" ضمن " الرسائل "(148/4- 165).

(4) نفسه.

(5) حلمي عبد المنعم صابر:" الوقت في الإسلام " المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط.1988م، (ص.107).

ونهاية... والباري لا مبدأ له، فهو خالق الزمان، فهو في غير زمان ولابد.»[1] وما يريد ابن حزم أن يؤكده هنا، أن الزمان مخلوق للّه تعالى ومحدث له، أوجده تعالى بعد أن لم يكن، كما أوجد سائر الأشياء بعد أن لم تكن، فللزمان إذن بَدْءٌ، كما أن لجميع الموجودات في هذا العالم بَدْءٌ، غير أن الزمان بخلاف سائر الموجودات والمخلوقات يمكن أنْ يبقى إلى الأبد إذا أراد اللّه له ذلك.[2]

وأما عن المكان وأصنافه، وارتباطه بالجسم المتمكِّن فيه، فهذا ما يوضحه قوله: «والمتمكَّن مع المكان ينقسم قسمين: أحدهما أن يكون المتمكّن متشكلا بشكل المكان الذي هو فيه كالماء في الخابية ونرى ذلك عيانا إذا جمد الماء... والقسم الثاني أن يكون المكان متشكلا بتشكل المتمكن فيه، ويُمثَّلُ ذلك بجرم البيضة أو عود أدخلته في ماء، فجمد الماء حواليه بعد أنْ كان مائعاً فإنك تجده متشكلا بصورته وهيئته.»[3] كما حاول ابن حزم الردّ على القائلين بأن الزمان والمكان لم يزالا، وأنهما مطلقيان ولا نهائيان وكونهما غير محدثين.[4] وقيامه بتفنيد هذه الأطروحة ليثبت أنه لا وجود لما يسمّى بالزمان والمكان المطلقين الأزليين اللانهائيين، بل كل زمان

---

(1) ابن حزم :" رسالة التوقيف على شارع النجاة " ضمن " الرسائل "(3/135- 136).

(2) عمر فروخ :" ابن حزم الكبير "دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط.1 ،1980م(ص.195). ولهذا رفض أبو محمد أن يوصف اللّه بالقديم لأن وصفه بالقدم يفيد أو يلزم عنه التقادم الزماني، أي وجود اللّه في الزمان، والباري تعالى ليس بزماني.« فصحَّ أنَّ القديم من صفات المخلوقين وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الأزلية...وهذا منفي عن اللّه عزوجل.»ابن حزم:"الفصل"(1/352) فالتعبير بالقديم يدل على زمان محصور أو على مدة محصورة، ولهذا لا يجوز أن يسمى عزوجل به.

(3) ابن حزم :" رسالة التقريب لحد المنطق " ضمن " الرسائل "(4/168).

(4) ابن حزم:"الفصل"(3/210- 211) ومن هؤلاء الطبيب: محمد بن زكريا الرازي(ت.313هـ) الذي اعتبرالزمان جوهر، وقسّمه إلى نوعين:الزمان المطلق وهو قديم أبدي، ويسميه بالمدة والدهر. والثاني: زمن محصور وهو الزمان المقدر بحركات الأفلاك والنجوم... وهذا محْدث. كما أن المكان عنده نوعان: مكان كلي مطلق غير متناه ولا يتعلق بالعالم، وبما أنَّ ما لا نهاية له قديم، فالمكان على ذلك قديم، وهو يشتمل على الخلاء أو هو ذاته الخلاء، ثم مكان جزئي مضاف ومعهود. للتوسع أكثر يطالع: محمدأحمد عراد:" أضواءعلى مشكلة الزمان في الفلسفة الإسلامية" منشورات دار الثقافة عمَّان، ط.1992م(ص.58) و بينس (دس) "مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهنود" ترجمة:عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط.1946م(ص.46- 53- 54). و قد تأثر الرازي بنظرة أفلاطون وأفلوطين، حيث الزمان صورة الأبد. حلمي صابر: "الوقت في الإسلام " (ص.28) مرجع سابق.

ومكان لهما بداية ونهاية، مستنداً إلى بديهيات رياضية تتمثل في أن أي شيء أو أي عدد إذا أضيفت له من جنسه إضافة ما، فلابد أن يكون أكبر من الشيء بمفرده قبل تلك الإضافة،وهذا ما لا سبيل إلى نكرانه لثبوته بشهادة الحس والعقل، وإذا ثبت ذلك فهو متناه. « الزمان مدة، فهو عدد معدود، ويزيد بمروره، والزيادة لا تكون إلا في ذي مبدإٍ ونهاية من أوَّله إلى ما زاد فيه، والزمان مركب بلاشك من أجزائه، وكل جزء ذو نهاية من أوله ومنتهاه، والكل ليس شيئا غير أجزائه.»[1] مؤكدا على أن الزمان المطلق وهو ما يسمونه المدة، والمكان المطلق المسمَّى عندهم الخلاء[2] مجرد أفكار وهمية لا حقيقة لها حِسّاً ولا عقلا، وذلك لأن المكان لابد وأن يكون مرتبطا بوجود جسم متمكن ، وحيث لا يوجد جسم متمكن فلا يوجد مكان على اعتبار أن المكان هو المحيط بهذا الجسم، وليس بالإمكان وجود مكان يبقى خاليا، دون متمكِّن فيه.[3] « والبرهان على بطلان الخلاء... فلو خرج الهواء من الأشياء ولم يستخلف مكانه شيء، لكان ذلك المكان خالياً ولصحَّ الخلاء، فلمّا لم يكن ذلك موجوداً، علمنا أنَّ الخلاء معدوم ولا سبيل إليه... بل هو المحال.»[4] وقد اختار أبو محمد تقديم أدلة علمية، من خلال تقديمه لأمثلة عملية تطبيقية[5] تثبت بالتجربة والمشاهدة عدم وجود أي خلاء. « لأنه ليس في العالم خلاء البتَّة وأنه كرة مصمتة... وليس وراء هذا خَلاَءٌ ولامَلاَءٌ ولاشيء البتة.»[6]

ومراده من ذلك أنه ليس ثمة مكان ليس فيه شيء ما، وإنما هنالك ملاء ضرورة، أي أنَّ كل مكان في العالم مملوء بموجود محسوس أقله الهواء.[7] لأن

---

(1) ابن حزم :" المحلي" (1/22- 23)، وأيضا " الفصل" (1/38).

(2) السبب الذي دعا المتكلمين إلى القول بالخلاء، قولهم بوجود الجزء الذي لايتجزأ، فلو أنكروا وجود الخلاء لاضطرهم ذلك إلى إنكار الحركة لاستحالتها في الملاء، فاستدلوا بحركات الأجسام وانتقالها من مكان لآخر مما يلزم عنه خلوّ المكان الثاني، وعدم تمكن الأجسام فيه. ينظر: لعبد الحميد خطاب مقال:"إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي"(ص.61)، وعبد الراضي عبد المحسن: " نظرية الوجود لدى ابن حزم"(ص.135).

(3) ابن حزم :" الفصل "(1/35- 42) (3/210)، وأيضا:"الرسائل "(3/135).

(4) ابن حزم :" الرسائل "(4/169).

(5) ابن حزم :" الرسائل "(4/168- 169- 335) و"الفصل "(3/211).

(6) ابن حزم :" الفصل "(3/211).

(7) عمر فروخ :" ابن حزم الكبير "(ص.190)، مرجع سابق.

حقيقة الخلاء هي أن يكون جسمان ولا يتماسّان، أو ليس بينهما ما يماسهما وقد أجازه المتكلمون وَمَنَعَهُ الحكماء، ولكلّ أدلته. وقد خالف ابن حزم المتكلمين ووافق الفلاسفة في نفي الخلاء وإثبات عالم لا فراغ فيه، فهو يربط بين المكان والزمان والحركة ترابطا تلازميا في إطار براهينه على حدوث العالم؛ كما كان واقعيا تجريبيا في نفيه للخلاء، مبرهنا على ذلك بالأدوات والتجربة العملية المحسوسة مبتعداً عن الإيغال في التأصيل النظري للعقائد، ولذا جاءت رؤيته موافقة للمنظور الفيزيائي للزمان والمكان، إذ ليس ثمة زمان أو مكان خال في الفيزياء، فالعالَم الفيزيائي - الزماني والمكاني- ملاءٌ كامل لا خلاء فيه، بل إن الزمان المطلق أو السرمد زمان افتراضي يستطيع الله أن يوجده إذا شاء، لكنه غير موجود الآن إلا كوجود ذهني فقط، فهو زمان مثالي يشبه الزمن الرياضي القائم بذاته كما يقول نيوتن(ت.1727م). ولهذا عاب أنشتاين (ت.1955م) على نيوتن قوله بالزمان والمكان المطلقين الرياضيين المجردين، مُتَبَنِّياً في ذات الوقت ما ذهب إليه بوانكاري (ت.1912م) من أنَّ الزمان والمكان أمران نسبيان، وهو أيضا ما يتعارض مع ما ذهب إليه كنط(ت.1804م) من القول بأنهما صورتان قبليتان ومتعاليتان من الصور العقلية، وذاتيتان لا غير. ولهذا يبدو لنا أن تصور أبي محمد للزمان والمكان هو الأصوب، لكونه يتناسب مع الزمن الفيزيائي الذي جاء به أنشتاين، بل وهو الذي يمكننا حسابه وعدُّه، لأنه يرتبط بحركة الفلك الذي نعيش فيه.[1] ومع ذلك فقد اتُّهِم ابن حزم بالاضطراب في هذه المسألة. « والذي يدعو إلى هذا الاضطراب في تعريف الزمان عند ابن حزم هنا، هو أنه يمزج بين الزمان المطلق من جانب، وقياس الزمن من جانب آخر.»[2]

---

(1) ينظر: حلمي عبد المنعم:" الوقت في الإسلام"(ص.107- 125- 36)، عبد الراضي محمد:" نظرية الوجود لدى ابن حزم "(ص.134- 138) وعبد الحميد خطاب :" إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي "مقال مجلة " الميزة " (ص.71). مراجع سابقة.

(2) عمر فروخ :" ابن حزم الكبير "(ص.192)، مرجع سابق. في حين ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ ما قام به ابن حزم من نقد لفكرة الخلاء كان مجرد ترديد لما سبق لأرسطو أنْ ذكره. « ويقوم نقد ابن حزم لفكرة الخلاء المطلق لدى الرازي على استعادة التصور الأرسطي للكون والقائم على اعتباره متناهيا، والقول بأنه امتلاء لافراغ فيه...» سالم يفوت:"ابن حزم والفكر الفلسفي."(ص.313).

وهذا في رأيي كلامٌ عارٍ من الصِّحة، وفي ما قدَّمناه آنفا إبطال وتفنيد له، ولا حاجة لإعادته وتكراره.

نتيجة

إن تناول ابن حزم لبعض قضايا الوجود الطبيعي، يعبّر عن فكر فلسفي صميم، وينبئ عن اطلاّعه الجيد على آراء الفلاسفة والمتكلمين في الطبيعيات، ولهذا ذهب بعض الباحثين إلى أن ابن حزم أفاد من الفلسفة اليونانية في مبحث الطبيعيات. « وخاصة طبيعيات أرسطو وتمت الاستفادة من أرسطو على مذبح الكندي على الأرجح، لأنه الرافد الفلسفي المؤكد لابن حزم.»[1] غير أن إفادته من طبيعيات أرسطو لم تكن على طريقة الفلاسفة في ما أرى؛ بل على طريقة المتكلمين والأصوليين والمحَدِّثين الذين يفترضون ما جاء الشارع به كأصول ومسلمات، ثم يستفيدون من العلوم العقلية ليبرهنوا بها على صحة القضايا التي يؤمنون بها. ومع التسليم بكونه أفاد من بعض آراء أرسطو في الطبيعيات، فهي مما لا يصادم أصولا إسلامية، كما أنه لم يقل بشيء من مقالات الفلاسفة التي كفَّرهم أو حتى بدَّعهم فيها الغزالي.[2] ويكون تناوله لها إما لما أملته عليه طبيعة الموضوعات المبحوث فيها، أو كان استجابة لتحدّيات عقائدية. ولهذا فإنه لا غرابة أن يكون منهج البحث العلمي. « قد تكوَّن في دوائر المتكلمين والأصوليين قبل أن ينتقل إلى العلماء التطبيقيين، فعلى أيدي هؤلاء العلماء انتقل المنهج العلمي من مرحلة النظر إلى التطبيق.»[3] وليس هذا في العلوم الطبيعية فحسب، بل إن الكلام هو الأصل والأساس للفلسفة أيضا، وخصوصا في الطبيعيات، أو مسائل الوجود الطبيعي.[4]

---

(1) عبد الراضي محمد عبد المحسن : " نظرية الوجود لدى ابن حزم "(ص.38)، مرجع سابق.

(2) نفسه .(ص.41- 42).

(3) جلال موسى:"منهج البحث العلمي عندالعرب" دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1972م(ص.275). كما ينظر الفصل الأخير من كتاب :

" L' organon d Aristote dans le monde arabe" Ibrahim Madkour.

(4) يمنى الخولي : " الطبيعيات في علم الكلام "(ص.18- 148)، مرجع سابق.

مسرد المصادر والمراجع.

مؤلفات ابن حزم :

- **"الإحكام في أصول الأحكام"** تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.2004م

- **"الأصول والفروع"** تحقيق: عاطف العراقي وآخرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

- **"جوامع السيرة"** تحقيق: إحسان عباس، وناصر الدين الأسد، دارالمعارف، القاهرة، د.ت.ط.

- **"حجة الوداع"**، تعليق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط2 1966م

- **"الدرة فيما يجب إعتقاده "**تحقيق: أحمد الحمد وسعيد القزقي، مكتبةالتراث، مكة المكرمة ط.1988م.

- **"رسائل ابن حزم"** تحقيق: إحسان عباس، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (ط.2/1987م).

- **"الفَصْلُ في الملل والأهواء والنحل"**(3ج) تحقيق: يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.2002م

- **"المحلّى بالآثار"** تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.ط.

- **"ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل"** تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط.2 1969م

- **"النبذ في أصول الفقه الظاهري"** تقديم: محمد زاهد الكوثري، المكتبةالأزهرية للتراث، القاهرة، ط.2000م.

قائمة المصادر والمراجع حسب التسلسل الأبجدي لاسم المؤلف الأخير:

❖ أبو ريان، محمد علي: **"تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام"** دارالنهضة العربية، بيروت، ط2، 1973م

❖ أرسطو: **"النفس"** ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة:جورج قنواتي، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ط.1962م.

❖ الأشعري، أبو الحسن (ت.330هـ) : **"مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"** تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 1950م.

❖ الآلوسي، حسام محيي الدين: **"فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين فيه"** دارالطليعة، بيروت، ط1985

❖ بدوي، عبد الرحمن: **"أرسطو"** مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط. 1953

❖ أبوزيد، أحمد منى: **"التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي"** المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط.1994م

❖ بينس، (د.س): **"مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان واليهود"** ترجمة:عبد الهادي أبوريدة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1964م.

❖ الجابري، محمد عابد: **"التراث والحداثة "** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 1991م .

❖ الجرجاني، الشريف (ت.816هـ): **"التعريفات"** مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1985م.

❖ حنفي، حسن: **"من العقيدة إلى الثورة"** دار التنوير، بيروت، ط.1988م.

❖ دي بور (ت.ج): **"تاريخ الفلسفة في الإسلام"** ترجمة: عبد الهادي أبوريدة بيروت، ط 1981م.

❖ أبو ريدة ، عبد الهادي: **"إبراهيم النّظّام وآراءه الكلامية والفلسفية "** مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ط.1946م.

❖ زكريا، إبراهيم: **"ابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي"** الدار المصرية للتأليف،القاهرة، ط.1966م

❖ الزعبي، أنور خالد: **"ظاهرية ابن حزم الأندلسي "** نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ، ط.1، 1996م.

❖ سيف النصر، عبد العزيز: **" نظرية السببية في الفكر الكلامي الإسلامي "**، دون دار طبع، ط.1984م.

❖ - صابر، حلمي عبد المنعم: **"الوقت في الإسلام "** المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة ط1، 1988م.

❖ صبحي، أحمد محمود: **" في علم الكلام "** دار النهضة العربية، بيروت، ط.5، 1985م.

❖ عبد المحسن، محمد عبد الراضي: **"نظرية الوجود لدى ابن حزم "** مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ط.2006م

❖ عراد، محمد أحمد: **"أضواء على مشكلة الزمان في الفلسفة الإسلامية"** منشورات دارالثقافة، بيروت، ط.1992م

❖ عرفان، عبد الحميد: **"الفلسفة الإسلامية "** مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.2 1984م.

❖ الفارابي: "آراء أهل المدينة الفاضلة " تحقيق: ألبير نصري نادر، دارالمشرق، بيروت، ط.1985م.

❖ فروخ، عمر: **"ابن حزم الكبير** "دار لبنان للنشر، بيروت، ط1 ،1980م.

❖ كوربان، هنري: **"تاريخ الفلسفة الإسلامية"** ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، منشورات عويدات، بيروت،ط3 1983

❖ الكندي: **"الرسائل الفلسفية"** تحقيق: عبد الهادي أبوريدة، دار الفكر العربي، القاهرة (ج1، ط.1950م) (ج2 ط.1953م).

❖ موسى، جلال: **"منهج البحث العلمي عند العرب"** دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط.1972م.

❖ النشار،علي سامي: **"مناهج البحث عند مفكري الإسلام"** دار النهضة العربية، بيروت ط.3، 1984م

: **"نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام"** دار المعارف، القاهرة، ط.1966م.

❖ نصر سامي: **" فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي"** مكتبة الحرية، القاهرة، ط.1978م.

❖ يعقوبي، محمود: **"مسالك العلة وقواعد الاستقراء عند الأصوليين وجون ستوارت مل"** ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون ، الجزائر ، د.ت.ط.

❖ يفوت، سالم: **"ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس"** المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط.1986م

❖ يمنى الخولي: **"الطبيعيات في علم الكلام"** دار قباء، القاهرة، ط.1998م

❖ مجلة: **"المبرز"**، فصلية جزائرية، مقال: **« إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي»** بقلم: عبد الحميد خطاب العدد:13، جويلية 1999 م.